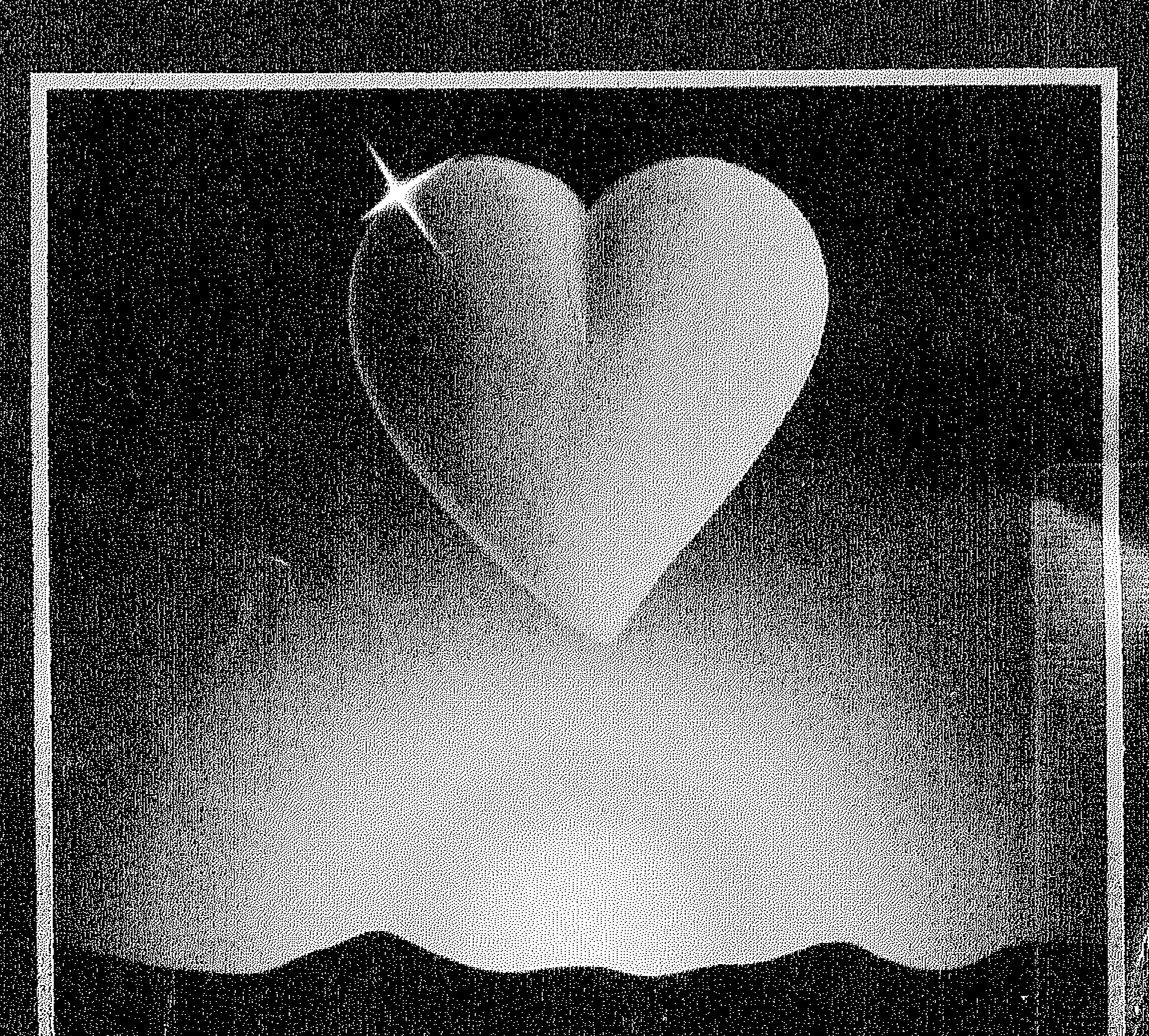
قلب الله الأبوي



فلويد ماكلانج
Floyd McClung

لوجوس

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة الانجيلية بالعطارين

الاسكندرية

Floyd McClung

فلويد ماكلانج

قلب الله الأبوي

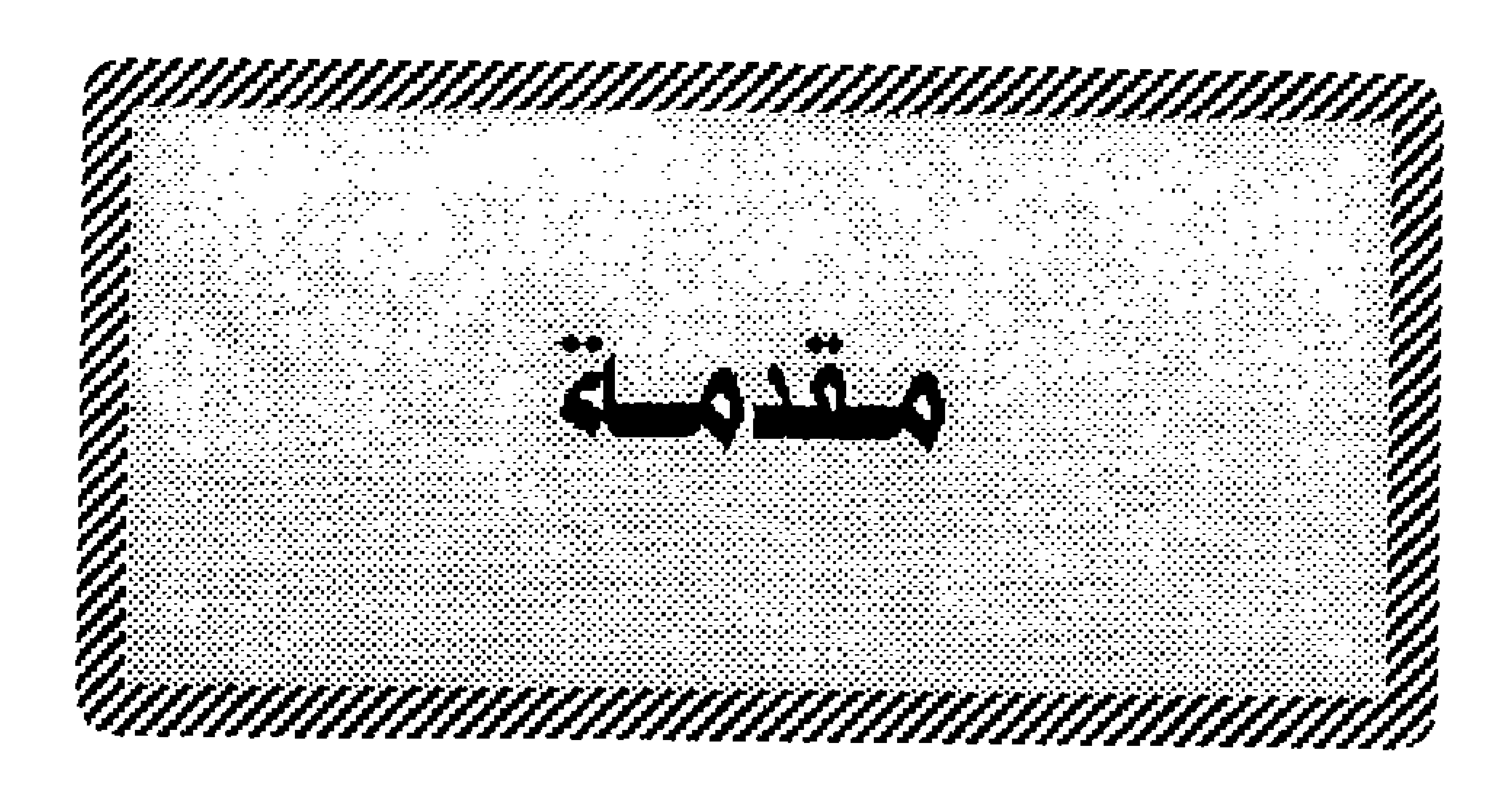
ترجمة: إيفا وهيب

الكـتاب : قلب اللـه الأبوي
الكاتب : فلويد ماكلانج
ترجمـة : إيفا وهيب

الجمع والاخراج الفنى والطباعة
لوجوس سنتر

تليفون / فاكس ٢٩٠٦١٦١
ص . ب . ٢٤٥٥ الحرية
هليوبوليس - القاهرة
Logos Center
P.O.Box : 2433
Stafford, TX 77497
U.S.A.
Email : rugaid@rusys.EG.net

رقم الإيداع : ١٨٦٦/ ١٩٩٣
الترقيم الدولى : 4 - 4576 - 00 - 977



مقدمة



نظرة جديدة نحو الله

بينما كنت أشاهد مع أبنائيّ، ميشا وماتيو، إحدى اللوحات المعروضة فى متحف ستيدليك فى أستردام، انتابنا إحساس بالحزن الشديد. كانت اللوحة مرسومة على قطعة كبيرة من القماش بخطوط سريعة وعفوية. كانت تصور منظر مخلوق طويل القامة ونحيف البنية، له رأس ضخم مكعب الشكل. وكانت ألوان اللوحة قاتمة وظلالها جامدة مما أضفى على الصورة إيحاء بالبرودة والقسوة. وقد شعرنا من منظر الأنف الذى يشبه المنقار ومن الأذرع الكبيرة البارزة، أننا نقف أمام صورة وحش أسطورى.

وكان العنوان المكتوب على اللوحة هو «الرجل»، وقد أخبرنا أحد المرشدين فى المتحف أن هذه اللوحة رسمها الفنان «كاريل أبل» وكان اسمها فى الأصل هو «أبى».

وقد تناقشنا طويلا بشأن هذه اللوحة، وتساءلنا ترى ما نوع العلاقة التى كانت لكاريل أبل مع أبيه؟ والأهم من ذلك، ما هو تأثير هذه العلاقة على نظرته الى الله؟ هل ياترى كان كاريل يؤمن بالله؟ ولو كان مؤمناً هل كان فى استطاعته أن يعرفه كأب محب؟

لقد كتبت هذا الكتاب لأن معظم الناس لا يعرفون الله كأب محب. إنهم لا يعتبرونه شخصاً يمكنهم أن يحبونه وأن يثقوا به، شخصاً جديراً بولائهم وتكريسهم الكامل. وسواء كان الإنسان مؤمناً أم لا، فلابد أنه فى لحظة ما سيفكر جدياً فى السؤال: من هو الله؟ وماذا يشبه؟

يشتاق كثير من الناس إلى معرفة الله معرفة شخصية، ولكنهم يتخيلونه إلهاً بعيداً وليس شخصاً يمكن التعرف عليه. والبعض الآخر يتوقون إلى علاقة معه ولكنهم يصطدمون بفكرة خاطئة تصوره جالساً فى السموات ومرتدياً رداء أسود، محملقاً فى البشر بتحفز لكى يدين أى إنسان يجرؤ أن يبتسم فى يوم الأحد.

هذا الكتاب قد كتب لكى يعطينا منظوراً جديداً فى النظر إلى الله، ولكى يساعدنا على التعامل مع بعض الجوانب فى حياتنا التى قد تعوق علاقتنا به كأب لنا. فسوف نكتشف كيف أن آلامنا الماضية يمكن أن تشكل مفهومنا عن الله، وكيف أن آباءنا الأرضيين يمكن أن يؤثروا، بدون أن يدروا، على نظرتنا لأبينا السماوى.

وسوف نناقش أيضاً ماذا ينبغى أن يكون رد فعلنا تجاه الله إذا كان هو حقاً أباً محباً. فهناك فرق بين أن نتكلم عن الله: من هو؟ وماذا يشبه؟ وبين أن نتكلم عن مسئوليتنا تجاهه إذا كان هو محباً وعادلا.

إننى أومن أن الله خلقنا لكى نكون على شبهه، بطريقة مصغرة طبعاً. لقد صنعنا الله لكى نحب بعضنا البعض، ولكى نعتنى بخليقته، ولكى نشعر بالأمان والثقة من جهة ذواتنا. ولكن أنانيتنا وجراحنا العاطفية تعوقنا عن أن نصبح الأشخاص الذين قصد أبانا أن نكونهم.

إن حقيقة أن الله يعتنى بنا وأنه يريد أن يحررنا من أنانيتنا وأن يشفى عواطفنا الجريحة، هذه الحقيقة هى التى دفعتنى أن أعيش مع عائلتى فى حى «رد لايت» فى أمستردام لننادى بمحبته هناك. وهى أيضاً التى دفعتنا لنعيش ثلاث سنوات فى أفغانستان. فهناك تقابلنا مع «ستيف» وهو صاحب قصة فريدة يريد أن يقصها علينا هنا....



شكراً لله

الذي يعطينا

الغلبة

بربنا يسوع المسيح

اكورنثوس ١٥: ١٧


الفصل الأول
قلب الإنسان الجريح

كان يسمى نفسه «ستيف»، ولكن عندى الإحساس بأن هذا الاسم لم يكن اسمه الحقيقى. كان يرتدى بنطلوناً من الجينز القديم الباهت، ليس لأنه اشتراه هكذا من أحد المحلات الفاخرة، ولكن من كثرة التسكع مع جماعات «الهيبيز» المتشردة. لقد سافر مع أحد أصدقائه من أمستردام بوسيلة تسمى «الأتوبيس السحرى» وهى وسيلة رخيصة ولكنها غير مأمونة، وهكذا وصلوا حديثاً إلى «كابول» فى أفغانستان.

وقد كنت أعيش مع زوجتى سالى وبعض الأصدقاء، فى كابول وكنا ندير عيادة مجانية للشباب المتشردين من المجتمع الغربى الذين يجولون فى وسط آسيا بحثاً عن المغامرة والمخدرات، وهرباً من نمط الحياة الذى بدأوا يكرهونه. وقد كان معظمهم ملفوظين من المجتمع ويشعرون بقدر كبير من الإنعزال والإهمال. فلم يكن فى محيطهم أى شىء

يعطيهم إحساساً بالانتماء. وكان ذلك ينطبق تماماً على «ستيف».

وفى الأسابيع التالية، زارنا «ستيف» عدة مرات فى العيادة. وفى أحد الأيام فاجأنى قائلا: «هل تريد أن تعرف ما هو أسعد يوم فى حياتى؟» وكانت هذه هى المرة الأولى التى فيها تطوع ستيف أن يحدثنى عن نفسه، ولذلك فقد كنت شغوفاً بأن أستمع إليه.

قال لى بابتسامة غريبة «سوف أخبرك ما هو أسعد يوم فى حياتى». وإذا بالألم المحبوس والحقد الدفين يتحول فجأة إلى فيضان من الغضب.

«كان ذلك اليوم هو عيد ميلادى الحادى عشر. إنه اليوم الذى فيه قتل والداى معاً فى حادث سيارة!». ثم بانفعال ومرارة أضاف قائلا: «كانا يومياً يؤكدان لى أنهما يكرهاننى وأنهما لا يريداننى. كان أبى يمقتنى وكانت أمى تذكرنى دائماً أننى أتيت على غير رغبتها. إننى سعيد أنهما قد ماتا!»

وفى الأسابيع التالية حاولت أن أساعد «ستيف»، ولكنه سرعان ما انقطعت أخباره عنى. ومع ذلك فلقد بقى ألمه وغضبه محفوراً فى ذاكرتى حتى الآن.

والشيء الذى اكتشفته أنا وسالى فى أفغانستان فى أوائل السبعينات، لم يكن مجرد عدد من الأوروبيين الهاربين من مشاكلهم، بل مجتمعاً كاملا من الأشخاص الجرحى. وعلى مدار السنوات العشر الأخيرة كرسنا حياتنا لمساعدة ذوى العواطف الجريحة. واكتشفنا أنه لا يوجد أي مستوى اجتماعى محصن ضد جراح تفكك العلاقات.

أتى إلينا شاب طالباً المشورة، وهو من مستوى اجتماعى راقى، وحكى لنا كيف أن أباه كان يجعله يشاهده وهو يضرب أمه ويركلها. وأخبرتنا إحدى الفتيات عن مدي الإهانة والإساءة فى المعاملة التى لقيتها على يد أبيها وإخوتها وجدها. وصارحنا شاب آخر بأن والديه قد تركوه فى رعاية جدته لمجرد أنهم لا يريدونه. وفى سن الخامسة أودعته جدته فى أحد الملاجىء. هناك كان المدير يضربه كل يوم أحد إذا رفض أن يذهب إلى الكنيسة. وبعد عدة سنوات سلم هذا الشاب حياته للمسيح من خلال خدمتنا فى أفغانستان، ثم عاد إلى منزله حاملا بعض الهدايا ومتجهاً بالمحبة والغفران نحو والديه. وبمجرد أن رأته أمه، صرخت فى وجهه بغضب ولم تدعه يدخل إلى البيت. وشاب آخر متزوج قال لنا وسط دموعه

أنه لا يتذكر مرة واحدة سمع فيها من أبيه كلمة «أحبك».

إن عالمنا موبوء بضربة «الألم». فمع انتشار الطلاق وإساءة معاملة الأطفال، لم يعد من المدهش أن مفهوم أبوة الله أصبح عند الكثيرين يثير مشاعر غضب ومرارة ورفض. فلأنهم لم يلمسوا في حياتهم أي نوع من حنان الأب الأرضي، أصبحت نظرتهم مشوهة نحو محبة الآب السماوي. وفي أحيان كثيرة يختار هؤلاء الأشخاص المجروحين أن يرفضوا وينكروا تماماً وجوده.

أخبرني صديق لي اسمه «جون سميث» من «ميلبورن» في أستراليا أنه كان يتكلم مرة مع أحد المراهقين المتشردين الذين يصعب التكلم معهم. فقال له الفتى: «حسنا، بماذا تشبه الله؟» فاندفع جون قائلا ما تعلمه في كلية اللاهوت: «إنه مثل أب». فاستشاط الشاب غضباً وحقداً وقال «لو كان حقاً هكذا فالأفضل أن تحتفظ به لنفسك!». وفيما بعد عرف جون من أحد الأخصائيين الاجتماعيين أن والد هذا الفتى قد اغتصب أخته مراراً وأنه كان يضرب أمه بانتظام.

الجروح العاطفية

إن الخبرات السلبية في الطفولة ليست هي

العامل الوحيد الذى يعوقنا عن معرفة الله كأب. فإن الكثيرين يشعرون بصدة عاطفية أو عقلية عندما يحاولون أن يدعوا الله «أب» وذلك لأنهم لا يعرفونه معرفة شخصية. فهناك فرق بين أن نعرف عن الله وبين أن نعرفه معرفة شخصية. يقول يوحنا ١:١٢ «كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله». لكى نصبح أولاد الله يجب أن نؤمن أن يسوع المسيح ابن الله أتى ومات وقام حتى ننال غفران خطايانا. ثم يجب أن نطلب منه أن يغفر لنا وأن يصبح رباً على حياتنا. إننا نحتاج أن نكرس حياتنا لطاعة كلمة الله، ولعبادته هو وحده.

وآخرون يجدون صعوبة فى التعامل مع الله كأب بسبب أنهم تعلموا طوال حياتهم أن يحترمونه ويخاطبونه بألقاب التعظيم. أما لقب «بابا» أو «أبى» فهو فى نظرهم غير وقور. مع أن الكتاب المقدس يعلمنا أن نخاطب الله فى الصلاة بالقول «يا أبانا» (مت ٦:٩)، وأنه يريد أن يكون فى علاقة وثيقة معنا كأبناء له.

إن الجروح العاطفية من أهم المعوقات التى تقف فى طريق معرفتنا بقلب الله الأبوى. فإن هذه الإصابات كثيراً ما ينتج عنها «أنسجة حساسة»

تجعلنا نتردد فى وضع ثقتنا بالكامل فيه كأب لنا.

والكتاب المقدس يقدم لنا العديد من الأمثلة للجروح العاطفية، ويسميها الروح «المجروحة» أو «المكسورة» أو «المنسحقة». يقول سفر الأمثال «القلب الفرحان يجعل الوجه طلقاً وبحزن القلب تنسحق الروح» (١٣:١٥). وأيضاً «روح الإنسان تحتمل مرضه، أما الروح المكسورة فمن يحملها؟» (١٤:١٨).

وقصة ميكال ابنة الملك شاول تصور بوضوح ألم الروح «المكسورة» أو «المنسحقة». فلقد تربت ميكال فى جو ملبد بالصراعات والاحتكاكات. وكان أباها شخصاً قلقاً لا يشعر بالأمان، كثيراً ما تنتابه نوبات عنيفة من الغضب. وبلا شك أن هذا الغضب كان له أعمق التأثير على مشاعرها.

وقد خطط شاول لقتل داود بسبب غيرته منه. وكنوع من الإغراء عرض عليه أن يزوجه إحدى بناته لو استطاع أن يقتل مائة من أعداء إسرائيل أى الفلسطينيين. وظن شاول أنه بهذه الطريقة سيتخلص من داود إلى الأبد إذ أنه لابد أن يموت على أيدى الفلسطينيين.

ولكن داود خيب ظن شاول وبدلا من أن يقتل مائة فلسطينى قتل مائتين. فكافأه شاول بأن أعطاه ميكال، ولكن سرعان ما هرب داود أمام إحدى نوبات شاول تاركاً ميكال وراءه. وبعد عدة سنوات عاد مرة أخرى فوجدها قد تزوجت رجلا آخر. وعلى عكس رغبتها ورغبة زوجها الجديد، طالبها بالرجوع إليه. فانتزعت من بين يدى زوجها النائح عليها وأعيدت بالقوة إلى داود (٢صم ٣:١٣-١٦).

ويبدو أن ميكال خلال حياتها تنقلت بين أيدى الرجال مثل قطعة شطرنج. وهذا يعطينا خلفية عن سبب المرارة التى بها كانت تتعامل مع داود والتى وصلت إلى ذروتها وتفجرت أثناء الاحتفال بأحد الانتصارات المجيدة.

«ولما دخل تابوت الرب مدينة داود أشرفت ميكال بنت شاول من الكوة ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب فاحتقرته فى قلبها.... ورجع داود ليبارك بيته. فخرجت ميكال بنت شاول لاستقبال داود وقالت ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف اليوم فى أعين إماء عبيده كما يتكشف أحد السفهاء.... ولم يكن لميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها» (٢صم ٦:١٦، ٢٠، ٢٢).

لقد فاض تصرف ميكال من منطلق جرح عاطفى تحول إلى كراهية. كانت «المغفرة» هى الدواء الذى يقدر أن يمنح الشفاء فى هذه الحالة، ولكنها لم تقبل أن تمنح المغفرة، فكانت النتيجة أن أصابها العقم الروحى والجسدى باقى أيام حياتها.

يوجد بيننا اليوم كثيرون من أمثال ميكال، يعانون من درجات متفاوتة من الألم، ولكن لا ينبغى أن تكون لهم نفس نهايتها. فإن الله، بسبب قلبه الأبوى، يشتاق أن يجددنا ويردنا إليه بواسطة قوة محبته الشافية.

قلبــــه

تعريف «القلب» فى القاموس هو «الكيان الداخلى أو الجزء الأساسى للشخص». وقلب الله الأبوى هو العنصر الأساسى الذى يميز شخص الله. وفى الكتاب المقدس نجد الوصف الذى أعطاه لنا يسوع عن الله: أنه أب رحيم وغفور وصالح ومحب. وهو خلال حياته على الأرض أعطانا صورة لأبينا السماوى وطبيعته.

سألتنى ابنتى «ميشا» وقد كان عمرها عندئذ خمس سنوات: «أبى، ما هو شكل الله؟» وأتذكر

الصراع الذى شعرت به فى ذلك الوقت وأنا أحاول أن أجد الرد على هذا السؤال. ولكننى اكتشفت أن السؤال الذى طرحته «ميشا» فى براءة طفولية كان سؤالا يريد الكثيرون إجابة عليه. ربما الكبار يصيغونه بصيغة مختلفة، ولكن المضمون واحد، وهو: **إذا كان الله موجوداً حقاً، فماذا يشبه؟**

يقول الكتاب المقدس أن الله ليس كائناً محدوداً مثلى ومثلك، ولكنه أظهر ذاته لنا بصورة واضحة ومفهومة حتى أنه صار فى استطاعتنا أن نعرف شكله «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد... هو أظهره لنا» (يوحنا ١٨:١).

وقد أجبت ابنتى على سؤالها، فقلت لها **"أن الله يشبه يسوع"**. وفى الواقع فإن يسوع قال ذات مرة: «من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ٩:١٤). إن يسوع هو الله فى صورة إنسان. وعندنا أمثلة عديدة فى الكتاب المقدس فيها نرى كيف أن يسوع أظهر لنا الآب. أحد هذه الأمثلة عندما أتت بعض الأمهات وطلبن من يسوع أن يبارك أطفالهن، وظن تلاميذه أنه أعظم من أن تحركه مثل هؤلاء النساء. ولكن يسوع وبخ تلاميذه وطلب منهم أن يأتوا إليه بالأولاد، فأخذهم بين ذراعيه وأخذ يتكلم معهم. كان

عنده متسعاً من الوقت لهؤلاء الأطفال. كان مستعداً أن يستمع لقصصهم وأن يحكوا له عن ألعابهم. لم يهمه أن تتسخ ملابسه من الأطفال الجالسين فوق ركبتيه. وعندما نرى كيف أن يسوع كان عنده متسع من الوقت للأطفال الصغار، يمكننا أن نفهم أن الله لديه متسع من الوقت للناس وأنه صبور. **إن الله الآب يشبه ابنه تماماً.**

وفى مناسبة أخرى توقف يسوع ليتحدث مع امرأة سامرية بالقرب من بئر. فى ذلك الوقت كان اليهود يكرهون السامريين ويحتقرونهم. وكانوا يعتبرون النساء مواطنات من الدرجة الثانية وغير قادرات على استيعاب الحقائق الروحية.

ولكن يسوع رفع من مكانة المرأة إلى مركز المساواة والتقييم بأن كسر العادات الاجتماعية وتحدث معها جهاراً. وبفعله هذا أعلن لنا أيضاً عن شكل الله. لقد تناقش يسوع مع هذه المرأة بخصوص احتياجاتها الروحية، فأظهر اهتمامه الشخصى بها وفى نفس الوقت وضح لنا أن الله الآب يعتنى بالرجال والنساء على قدم المساواة.

هذه المرأة لم تكن فقط سامرية، بل كانت أيضاً منحطة أخلاقياً. ومع أن يسوع عرف ذلك إلا أنه لم

يخجل من أن يراه أحد معها. فهو فى الواقع كان يريد أن يتحدث معها، ولهذا السبب اختار طريقه عبر السامرة، لكى يظهر حباً حقيقياً لتلك التى عرفت بعلاقاتها المتعددة مع الرجال. فلقد كان يبصر ما هو أبعد من قساوتها الظاهرية وتهكمها على الدين: لقد أبصر قلبها ورأى اشتهاءها لشىء يملأ فراغها. لقد رأى احتياجها إلى الحب وإلى الإحساس بأن لها قيمة.

وهى من جانبها قبلت حبه لأنه ساعدها فى أن «ترى» الله بطريقة لم ترها من قبل. لهذا جاء يسوع، لكى يعلن الله لنا، ولكى يأتى بنا إلى الله.

اسألوا **تعطوا**

اطلبوا **تجدوا**

اقرعوا

يفتح لكم

لوقا ١١: ٩


الفصل الثانى
أب مكافح



كثيراً ما تساءلت لماذا اختار الله لنا أن ندخل إلى هذا العالم كأطفال لا قوة لهم ولا حول. فإنه بلا شك كان بإمكانه أن يصمم جهازاً تناسلياً ينتج أشخاصاً كاملى النمو الجسمانى مثل أبائنا الأوائل آدم وحواء. ولكنه اختار بالحرى أن يخلقنا كأشخاص يحتاجون الى النمو التدريجى سواء جسمانياً أو عاطفياً أو ذهنياً قبل أن نتحول إلى أشخاص بالغين.

وأعتقد أن الله قد صممنا بهذه الطريقة بحيث نبدأ حياتنا كأطفال معتمدين اعتماداً كاملا على أبوينا، لأنه قصد أن تكون الأسرة هى الإطار الذى تتمثل فيه محبته هو. كان يريد أن الطفل ينمو فى جو من الحب والقبول والتفهم والأمان، لكى يصبح فيما بعد إنساناً سوياً يثق فى الله ويشعر تجاه نفسه بالتقدير والقيمة والأهمية والرضى.

ولكن للأسف، فإن كثير من البيوت لا تتوافر فيها هذه المثاليات. فلقد تعرض الكثيرون للأذى

والرفض من عائلاتهم ولم يجدوا مثالا للأبوة يمكنهم التمسك به. وقد نتج عن ذلك أنهم لم يقدروا أن يعرفوا الله على حقيقته ولا أن يتمتعوا بعلاقة ارتباط حقيقى به.

وفيما يلى سنستعرض معاً سبعة أوجه للمفاهيم الخاطئة عن الله التى تنشأ بسبب أوضاع خاطئة فى الطفولة. وبهدف الوضوح سوف أناقش فقط الصفات المرتبطة بأبوة الله.

السيادة

من الطريقة التى يستقبلك بها كلب العائلة عند دخولك إلى منزل أحد أصدقائك، يمكنك أحياناً أن تعرف الكثير عن الطريقة التى يعاملونه بها. فالكلب العادى إما أن يتراجع إلى الوراء خائفاً، أو يمطرك بوابل من الحب أنت فى غنى عنه معبراً عنه باللسان والذيل والأرجل المتسخة! أما الكلب الذى لا يمكنك إقناعه بأن يثق فيك فعلى الأرجح أنه تساء معاملته. والكلب المفعم بالحيوية الذى يفاجئك بلحسة على الوجه فهذا ينتمى إلى بيت محب. إننا كثيراً ما نتعامل مع الله بطريقة مشابهة. فإن اختباراتنا السابقة تشكل ردود أفعالنا تجاهه عندما يحاول الاقتراب منا. فما هى ياترى العوامل التى تولد عدم الثقة فى مجال

السيادة؟

ينفتح فجأة باب غرفة النوم. ويستيقظ الغلام الصغير من نومه فى منتصف الليل على صفعة من رجل مخمور وغاضب. ويصرخ الطفل مرتعباً بينما الرجل الضخم القاتم الذى يسميه «أبى» يضربه بلا شفقة.

تحملق الزانية ذات الأعوام الخمسة عشر بعيون ذاهلة أثناء ممارستها التلقائية لتجربة جديدة فى الانحدار. إنها لم تعد تهتم بما يحدث لها. فمنذ أن هتك عرضها على يد أبيها نفسه لم تشعر أبداً بأى نوع من الطهارة.

إننا أحياناً نهرب من سيادة الله أبينا لأننا نتوقع أنه سيكون مثل الأشخاص الذين يرمزون للسيادة فى حياتنا. كلا، إنه ليس هكذا. إنه حب كامل. إنه هو الذى يوصى الآباء قائلا: «أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره» (أى لا تبالغوا فى توبيخ أبنائكم وتعنيفهم إلى أن تولدوا فيهم الغضب والمرارة، بل ربوهم بتأديب المحبة الذى يرضى الرب نفسه). (أف ٦:٤).

ربما لم تجد فى طفولتك أباً بسبب الموت أو الطلاق. وربما كانت كثرة مشغوليات أبيك فى أعماله هى سبب حرمانك منه. والآن، كابن لله، فإنه من الصعب عليك أن تثق فى أمانته. أنت لا تستطيع أن تمحو ذكريات الإهمال ونكث الوعود الذى عانيت منه فى طفولتك. لذلك فإنك لا تشعر بحضور الله إلا نادراً، وتميل إلى التعامل معه بشىء من التحفظ.

ومع ذلك فإن أبيك السماوى كان موجوداً عندما خطوت خطواتك الأولى، وكان موجوداً خلال الآلام والاحباطات التى عانيت منها فى سنوات المراهقة، وهو لا يزال موجوداً الآن. لقد استودعك فقط لسنوات قليلة بين يدى أبوين أرضيين على أمل أن يمطروك بحب نظير حبه. فقد كانت خطته فى الأصل أن تجد الأمان والرعاية فى البيت حتى تتعلم كيف تتلقى حبه هو فيما بعد. فلو كان الأهل قد فشلوا فى أداء مهمتهم، عليك أن تعرف هذه الحقيقة، أنك يجب أن تغفر لهم وأن تمضى لتتلقى حب الله. إنه ينتظرك الآن بذراعين مفتوحين على اتساعهما.

إن الله هو الأب الوحيد الذى لا يمكن أن يتخلى عنا أبداً. كما يقول فى ٢تيموثاوس ٢: ١٣ «إن

كنا غير أمناء، فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه».

القيمة

منذ عدة سنوات كان أحد أصدقائى يزور قرية فى الجنوب، وقد قضى بعض الوقت فى مراقبة الأطفال وهم يلعبون. وقال لى فيما بعد: «هؤلاء الأطفال لا يقال لهم أبداً «اترك هذا، لا تلمس ذاك، احترس» فإن بيوتهم بسيطة تتكون من أرض ترابية وسقف من القش وحصير يفردونه فى المساء ليقوم بعمل الجدار. أما بيوتنا نحن فهى ممتلئة بالأثاث الثمين والأجهزة القابلة للكسر والتى كثيراً ما تتسبب فى تولد الاحساس بالرفض فى نفوس أطفالنا. فكم من أم انفجرت غاضبة على ابنها بسبب كسر تحفة أو إناء ثمين. إن أطفالنا دائماً يسمعون عن أهمية وقيمة الأشياء بينما نادراً ما يسمعون كلمة «أحبك»». وهكذا ترسخ فى عقولهم الباطنة هذه الفكرة الفتاكة «أن الأشياء لها قيمة أكثر منى!»». وأنا لا أقترح أن نترك بيوتنا، ولكننا نحتاج أن نعرف أن ذكريات الطفولة يمكن أن تشوه مفهومنا عن سخاء الله. إننا نحتاج أن نصنع تغييراً جذرياً فى ترتيب الأولويات فى حياتنا حتى نقدر أن نوصل حب الله إلى أولادنا.

إن قيمة الأشياء فى نظر الله تختلف عن قيمتها فى نظرنا نحن. فالخليقة مملوءة بالألوان والأشكال والتصميمات قيمتها تفوق مجرد القيمة العملية. فالوردة البيضاء الصغيرة المغلفة بأشعة الشمس فوق جبال الألب لها قيمة فى نظر الله حتى إذا لم تكن عين بشرية قد رأتها من قبل. ربما ليس لها قيمة اقتصادية، ولكن الله خلقها على أمل أنه فى يوم ما ستقع عليها عين أحد أبنائه فيفرح بجمالها.

إن أعظم صورة لقلب الله الأبوى تظهر فى اعتنائه بتفاصيل حياتنا. فهو يتوق إلى أن يفاجئنا أحياناً بأشياء صغيرة لا يمكن إلا لشخص أب أن يعرف أننا نحتاج إليها. إن الله ليس أنانى أو مادى أو عنده حبه التملك. نحن أحياناً نستخدم الأشخاص وكأنهم أشياء، ولكنه هو يستخدم الأشياء لكى يفرح الأشخاص، وهو يعبر عن سخائه من خلال عطايا أثمن من مجرد الممتلكات المادية. إنه يعطينا بدون مقابل عطايا الغفران والرحمة والحب التى لا تقدر بثمن.

الحب

عندما يأتينى ابنى الصغير من الحديقة وقد غطاه الوحل، فإننى أرفعه بين ذراعى وأغسله جيداً.

فإننى أرفض الوحل ولكن لا أرفض الولد. نعم، نحن أخطأنا، وكسرنا قلب الله، ولكننا لا نزال محور حبه، وشهوة عينه. إنه هو الذى يطاردنا بالغفران والحب. أحياناً نقول «نحن وجدنا الله» ولكن فى حقيقة الأمر أنه هو الذى وجدنا بعد مطاردة طويلة.

إن أطفال كثيرين، خاصة الأولاد، لا يحصلون على القدر الكافى من مظاهر الحب من أبويهم، ولا يجدون تعاطفاً حقيقياً فى وقت الألم. فبسبب المفهوم الخاطىء عن الرجولة فى مجتمعنا، يقولون لهم «هيا لا تبك، فالولد لا ينبغى أن يبكى». ومع ذلك فإن حب الله يداوى آلام الرجال والنساء على حد سواء. فهو كأب يشعر بآلامنا بأكثر مما نشعر بها نحن لأن حساسيته للألم أعمق كثيراً.

ربما يحاول الكثيرون منا أن ينسوا اللحظات الأليمة فى حياتهم، ولكن الله لا ينساها. فإنه لا يزال يتذكر يوم تعرضت للإهانة فى ملعب المدرسة ورجعت إلى المنزل وحيداً متحاشياً أنظار الناس. وهو لا يزال يتذكر يوم جلست فى حصة الحساب مرتبكاً ومتحيراً. ويوم أن ضللت طريقك وأنت فى الرابعة من عمرك وهمت على وجهك مرتعباً بين

الحشد، هو الذى حرك قلب هذه السيدة الحنونة لتساعدك فى العودة إلى البيت «كنت أجذبهم بحبال البشر (أى بحبال العطف البشرى) بربط المحبة» (هوشع ١١:٤).

نحن أحياناً لا نفهم مدى محبة الله الأبوية. ربما يفخر والديك بصورك التى يحتفظون بها فى ألبوم، ولكن ما هذا بالمقارنة مع فرحته هو اللانهائية بكل نجاح تحققه؟ لقد استمع الله إليك وأنت تنطق بأولى كلماتك، وراقبك بزهو وأنت تقضى الساعات الطويلة تكتشف ملمس الأشياء بيدى الطفل الرضيع. إنه يحتفظ بذكريات مرح طفولتك. فأنت ابن له، لم يكن عنده من قبل من يشبهك ولن يكون.

ذات يوم بارك موسى كل سبط من أسباط إسرائيل، فقال عن أحدهم «حبيب الرب ... بين منكبيه يسكن» (تث ١٢:٣٣). هذا هو مكان سكناك أنت أيضاً. ومهما كان مركزك فى نظر البشر – من سلطة وشهرة ومكانة – فستظل دائماً طفلا بين ذراعى الله.

التواجـــد

توجد صفة فى الله، لا يستطيع أفضل الآباء أن

يقلدوها، هذه الصفة هى قدرته على التواجد معك طول الوقت. لا يوجد أب أرضى يستطيع أن يقدم لأبنائه الرعاية على مدار الأربعة وعشرون ساعة. ولكن الله ليس كذلك. فهو ليس فقط يرافقك طول الوقت، ولكنه أيضاً يقدم لك الرعاية المستمرة «ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتنى بكم» (أى ضعوا عليه كل همومكم لأنه هو دائماً يفكر فيكم ويعتنى بكل شىء يخصكم) (١بط ٥:٧).

ربما كان والداك دائماً منشغلين بأعمالهم ولا يهتمون بالتفاصيل الصغيرة فى حياتك. ولكن الله ليس هكذا. فهو إله التفاصيل. يقول الكتاب المقدس أنه يحصى عدد شعر رأسك، لماذا؟ ليس لأنه مغرم بالرياضة البحتة، ولكن هذه الصورة اللغوية مقصود منها أنه يعرفنا جيداً ويعتنى بدقائق حياتنا.

أمضى الغلام الصغير الأمسية بطولها فى تثبيت المسامير فى الخشب، وخرج أخيراً من حجرته ممسكاً بالسفينة. الحربية ذات الطوابق الثلاثة التى صنعها، وأسرع ليريها لأمه إذ لم يقدر أن يصبر حتى يعود أباه إلى المنزل. وتأخر الأب، ولكنه عاد أخيراً متعباً ومرهقاً. كان العشاء البارد فى انتظاره، وكذلك العديد من الإصلاحات المطلوب عملها فى البيت.

وبسرعة أحضر الغلام سفينته ليريها لأبيه. لم يلق الأب نظرة واحدة على انتاج ابنه، ولكن الله نظر. إنه دائماً ينظر ويفرح بالأشياء التى يعملها الولد الصغير.

الله هو أبونا الحقيقى، وسيظل هكذا دائماً. لا تحاول أن تلوم والديك الأرضيين على تقصيراتهم، هما أيضاً كانا مجرد طفلين ثم كبرا وأصبح لهما أطفال، بل افرح بالحرى وتمتع بالله أبيك وبحبه الرائع.

القبـــول

نحن نعيش فى مجتمع لا يعترف إلا بالانجازات. آباء كثيرون ينقلون لأبنائهم هذا المفهوم: أنهم إذا حصلوا على درجات جيدة فى الامتحان، وإذا حافظوا على مظهرهم لائقاً، وإذا كان أسلوبهم مهذباً، فعندئذ سيكونوا مقبولين ومحبوبين. أما الله فإن حبه غير مشروط. إن أبينا السماوى يحبنا لأنه هو محبة. ومع أننا لا نحتاج أن نفعل شيئاً لنقنعه بأن يحبنا، إلا أننا نحتاج أن نتلقى حبه. هذا لا يعنى أننا يجب أولا أن نكون قديسين. كل ما يريده منا هو أن نأتى إليه بصدق وإخلاص، وهو سيغفر لنا ويجعلنا أبناء له.

يجد الكثيرون صعوبة فى تلقى حب الله ورضاه. ولكن علاقة الحب الحقيقى تتضمن تقديم وتلقى الحب. تخيلوا ماذا سيكون شعورى لو قررت يوماً أن أفاجىء زوجتى ببعض الورود، ولكن بمجرد أن قدمتها لها وقلت لها: «سالى، إننى أحبك»، أسرعت تحضر نقوداً لكى تدفع لى ثمنها! لابد أننى سأشعر بالألم والإحباط. فإن كل ما أحتاج أن أعرفه هو أنها تبادلنى نفس الحب.

ما هو موقفك من الله عندما يقول لك أنه يحبك مهما حدث؟ هل يمكنك أن تتلقى حبه بدون أن تحاول عمل شىء لكسب قبوله؟

من أجمل المناظر التى تعبر عن السعادة منظر الطفل الرضيع وهو مستكين بين ذراعى أمه بعد أن تنتهى من إرضاعه. فإنه يكف عن التلوى والشكوى ويستريح فقط فى الحضن الحنون. وفى هذه اللحظات تفيض أعمق معانى السلام فى كلمات أغنية النوم اللطيفة التى تغنيها الأم لطفلها. وفى الكتاب المقدس، يصف لنا النبى صفنيا إحساساً مشابهاً فى قلب الله من نحونا: «الرب إلهك فى وسطك جبار، يخلص. يبتهج بك فرحاً، يسكت فى محبته (أى يهدئك بمحبته)، يبتهج بك بترنم» (صفنيا ٣:١٧).

إن أبيك السماوى يحبك كما أنت. طوال حياتك كان عليك أن تثبت نفسك من خلال أدائك، حتى وأنت بعد طفل صغير كان الناس يقارنوك بالأطفال الآخرين. كانوا يقولون عنك إنك «بدين جداً» أو «نحيف جداً» أو كانوا يعلقون على منظر رجليك أو منظر أنفك. ولكن الله كان مبتهجاً بك كما أنت، ولا يزال.

الاتصال

أحياناً يجد الوالدان، خاصة الآباء، صعوبة فى توصيل مفهوم الحب. ولكن الله يوصل لنا محبته بكل وضوح. فهو فى الواقع يحبنا إلى درجة أنه «بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣:١٦).

أخبرتنى فتاة أنها لا تستطيع أن تتكلم مع الله. كانت تشعر كما لو كانت كلماتها تصد فى حائط من الطوب. وهى لا تذكر أن الله قد أجاب صلواتها ولا مرة واحدة. وبينما كنا نصلى معاً فهمت أنها كانت تتخيل الله مثل أبيها، صالح وأمين ولكن خجول وساكت. كان أبوها نادراً ما يتكلم مع أبنائه، ولم يحدث أبداً أن قال لهم إنه يحبهم. فعندما اكتشفت أن أبيها كان ضعيفاً هكذا لدرجة الاهمال، استطاعت أن

تغفر له وأن تقبله كما هو. وهذه الخطوة فتحت أمامها بعداً جديداً فى علاقتها مع الله. فازداد إيمانها بالصلاة، لأنها أيقنت أنه يسمعها. وسرعان ما أصبحت تشعر بقيادة الله ووجوده فى حياتها.

لو شعرت أن هناك عطل ما فى علاقتك بالله بسبب نقص فى أحد جوانب الحب الأبوى، أخبر الرب بما تشعر به واطلب منه العون. لا تتوانى فى أن تغفر لأى إنسان قد تسبب لك فى الأذى، وإلا فإن المرارة ستستهلكك ولن يمكنك أن تجد سلاماً مع الله.

أيضاً اعرف أنك لست وحدك. فإننى لم أجد بعد إنساناً كاملا، ولا أباً لا يقع فى أخطاء: فكل إنسان قد اختبر الألم بشكل أو بآخر فى حياته. ولكن المهم هو أن تعرف الله كما هو بالحقيقة، فكثيراً ما يكون مفهومنا عنه مختلفاً تماماً عن الواقع.

الله هو الأب الكامل. إنه دائماً يؤدب بالحب، وهو أمين، وسخى، وصالح، وعادل، وهو يشتاق أن يقضى وقتاً معك. إن أبيك السماوى يريدك أن تتلقى حبه وأن تعرف أنك مميز وفريد فى عينيه.

يـــارب

ملجأ كنت لنا في دور فدور

من قبل أن تولد الجبال

أو أبدأت الأرض والمسكونة

منذ الأزل إلى الأبد

أنت اللــه

مز٩٠: ١-٢


الفصل الثالث
عندما يُجرح قلبك

كانت فتاة خجولة، أطول قليلا من معظم الفتيات المراهقات فى مثل سنها. وكنت متعباً، وآخر ما يمكننى أن أفكر فيه هو أن أتحدث مع فتاة مراهقة. كنت قد فرغت للتو من إلقاء محاضرة على مجموعة من الشباب فى جنوب أفريقيا عن قلب الله الأبوى، وكنت محتاجاً جداً للراحة. ومع ذلك شعرت أننى يجب أن أصغى باهتمام لما تريد هذه الفتاة أن تقول.

كان سؤالها فى البداية غير محدد وعديم الهدف، ولكننى توقعت أن عندها شيئاً أهم تريد أن تخبرنى به. فانتظرت، وبعد أن انتهت من الكلام سألتها هل عندها شيء آخر تريد أن تشارك به. فجلست بجوارى فى القاعة الصغيرة المزدحمة وهمست فى أذنى قائلة: «هل تسمح لى بأن أبكى فوق كتفك؟» أجبتها: «بكل تأكيد. ولكن هل يمكننى أن أعرف السبب؟»

امتلأت عيناها بالدموع وهى تحكى قصتها. لقد مات أباها وهى صغيرة. ومنذ ذلك الوقت لم تجد شخصاً تبكى فوق كتفه، لم تجد أباً تشاركه تساؤلاتها وطموحاتها والصعوبات التى تواجهها والأمور التى تخطط لها. كان هناك وجع دائم فى قلبها بسبب فقدانها لتلك الأذرع الكبيرة المحبة التى كانت قبلا تحملها وتواسيها.

وبدأت تبكى بلا خجل فوق كتفى، ثم تكلمنا مع أبينا السماوى وطلبنا منه معاً أن يشفى الجرح وأن يملأ الفراغ الموجود فى حياتها. وقد كان. فبعد عدة سنوات قابلت نفس الفتاة عندما ذهبت مرة أخرى إلى جنوب أفريقيا. وفى البداية لم أعرفها ولكننى سرعان ما تذكرتها حين ذكرتنى بالصلاة الخاصة التى رفعناها معاً فى ذلك اليوم. وأخبرتنى أن تلك اللحظات غيرت كل شىء بالنسبة لها، ففيها اختبرت قلب الله الأبوى.

هذه الفتاة عانت من جرح عاطفى عميق حرمها من التمتع بكامل علاقتها مع الله أبيها. وعالمنا ملىء بالناس الذين يعانون مثلها من جروح خفية يرجع معظمها إلى فترة الطفولة، ولكن بعضها أيضاً نشأ من ضغوط ومشاكل الحياة العصرية. إن الله أبينا يريد أن

يشفى هذه الجروح لكى نقدر أن نتمتع بالشركة الحلوة الحقيقية مع سائر أبنائه.

الكتاب المقدس يتكلم بالتحديد عن الشفاء للمشاعر المحطمة ويعتبر ذلك جزءا من عملية التقديس. فى سفر إشعياء يشير الكاتب إلى زمان فى المستقبل فيه سيرسل الله مخلصاً ينقذ الناس من خطيتهم ومن أنانيتهم. وهو يصف هذا المخلص بأنه «رجل أوجاع ومختبر الحزن» (إش ٥٣:٣) ثم يسترسل فى كلامه قائلا عنه أنه «حمل أحزاننا وتحمل أوجاعنا» وأننا «بجلدته شفينا».

هذا الشفاء هو شفاء لأنانيتنا وأيضاً لنتائجها، أى للجروح القديمة والحديثة التى أصابت شخصيتنا وعواطفنا. فى إشعياء ٦١ يقول عن هذا المخلص أنه سوف «يبشر المساكين ... ويعصب المنكسرى القلوب ... وينادى للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق ...» (عدد ١) والذين ينوحون سيعطيهم «دهن فرح» (عدد ٣). وفى مزمور ٣٤:١٨ يقول داود أن الرب «قريب من المنكسرى القلوب ويخلص المنسحقى الروح». وفى مزمور ١٤٧:٣ يقول أن الرب «يشفى المنكسرى القلوب ويجبر كسرهم». إن هذه أخبار سارة لعالم منكسر.

وعلى الرغم من كل ما يقدمه الله لنا، فما زال هناك أناس يتخيلونه جالساً فى السموات بعيداً عن الألم والواقع القاسى الذى يسود على هذا العالم الساقط، ويتساءلون بمرارة قائلين: «لماذا خلقنا الله وتركنا هكذا لأنفسنا؟».

إن الله ليس هو سبب مشاكلنا، وهو لم يتركنا بمفردنا فى آلامنا. ولكنه أتى وعاش بيننا، صار إنساناً وتألم بكل آلامنا بل أكثر جداً. لقد خلق الإنسان ولكن الإنسان رفضه. ثم أرسل رسلا وأنبياء ليذكر شعبه بأنه هو خالقهم، ولكنهم رجموا الأنبياء وقتلوا الرسل. وأخيراً أرسل الله يسوع كإعلان عن نفسه. لقد نزل الخالق بنفسه إلى خليقته ولكن المخلوقات رفضت أن تعترف به. وفى الواقع فإنهم صلبوا المسيح على صليب. فما الذى فعله الخالق بعد ذلك؟ لقد حول أبشع فعلة عملتها البشرية إلى مصدر غفران للبشرية.

إن يسوع المسيح هو الشافى المجروح. إنه يعرف ما معنى أن تجرح مشاعرنا، لأنه فى الواقع تجرب فى كل شيء مثلنا. حتى ميلاده كان مشكوك فيه، وسمعة أمه كانت تحوطها الأقاويل. لقد ولد فقيراً، وكان شعبه منبوذاً، وعشيرته موضع سخرية.

لقد مات أباه وهو بعد غلام، وفى سنواته الأخيرة كان يسوع يتجول فى الشوارع والمدن ليس له منزل. فى خدمته أسىء فهمه، وفى موته تركه الجميع. لقد فعل كل هذا لأجلى ولأجلك. فعل هذا لكى يتحد معنا فى ضعفنا: «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية. فلنتقدم إذاً بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه» (عب ٤:١٥،١٦).

الله الآب أرسل يسوع المسيح إلى هذا العالم لكى يكون حلقة الوصل بيننا وبينه. فالانفصال الناتج عن أنانيتنا هو سبب العديد من الجروح العاطفية. وإذا لم تعالج هذه الجروح فإنها تستفحل إلى ما أسميه بـ «مرض شاول» وهذا يقود بالتالى إلى الانفصال عن الله وعن سائر الناس. لقد جاء يسوع ليقدم المصالحة بدل الخصام، والشفاء بدل الجروح، والجبر بدل الكسر.

مرض شاول

لقد كان رجلاً طويل القامة، لافتاً للأنظار. أينما ذهب بملابسه البهية كانت الأنظار تتبعه، فقد كان موهوباً فى جذب الناس إليه، وفى إشعال حماستهم، وحفز همتهم. كان الجميع يعلقون عليه

آمالهم وأحلامهم الدفينة. فلقد كان قائداً بمعنى الكلمة، أو هكذا ظنوا.

إنه الملك شاول الذي مسحه صموئيل ليكون ملكاً على أمة بأكملها. ولكن هذا الملك كان يخفى تحت أكتافه العريضة وهيئته الجليلة، قلباً يفيض بالغيرة والخوف. فلقد كان يعانى من أعمق المخاوف، وكانت أساسات شخصيته مهزوزة إلى أقصى الحدود، إلى درجة أنه كان يعتبر أن أى نجاح يحققه الآخرون هو تهديد مباشر لمكانته فى الأمة.

وكان معظم تابعيه مبهورين بقدرته على التحرك والاتصال حتى أنهم لم يلاحظوا اصراره على التسلط الكامل. ولكن رجالا قلائل بدأوا يتوجسون منه. لقد كان متقد الذكاء فى التخطيط للحروب، وكان يعرف كيف يتخذ القرار المناسب فى اللحظة المناسبة، هذه كلها أقنعت تابعيه بعظمته، ولكن القريبين منه كانوا متحيرين. «فهو الشخص الممسوح من الرب، وهو يبدو دائماً على حق» هكذا كانوا يفكرون. ولكنهم كانوا يهربون من مواجهة الواقع: فهو ينقض المبادىء، ويرفض روح الخدمة، ويقاوم نجاح الآخرين، وهو سريع الغضب، وغير مترفق، وهى كلها صفات لا تؤهله لأن يكون ملكاً. لقد كانوا حقاً

يشعرون بالحرج من نوبات غضبه الشديد، وحالات الاكتئاب والحزن التى كانت تنتابه.

إنسان واحد فقط لم يعد متحيراً فى شأنه: هو صموئيل النبي الذى سبق أن مسحه ليكون ملكاً. فعل عكس الكثيرين لم يكن صموئيل ينظر إلى القوة الشخصية. فلقد سبق أن تعلم منذ نعومة أظافره أن الله لا يقبل منا إلا الطاعة البسيطة التى تشبه طاعة الأطفال.

وأخيرا جاء الدور على صموئيل يشعر بالغضب، ليس مثل نوبات شاول الفائرة، ولكن غضب بحسب البر. فلقد صبر كثيراً، وهو يرى المملكة تفسد بسبب عدم أمانة الملك وعدم خضوعه. وكان يلاحظ المخاوف الدفينة التى تملأ قلب الملك، وصراعه العنيف فى محاولة إيجاد القيمة والأمان لنفسه من خلال مديح أصحابه له. وقضى النبى ليال عديدة باكياً فى الصلاة، وأياماً أكثر قضاها صائماً وطالباً من الله أن يغير موقف الملك ويساعده حتى يجد أمانه فى رضى الرب. ولكن بدون طائل.

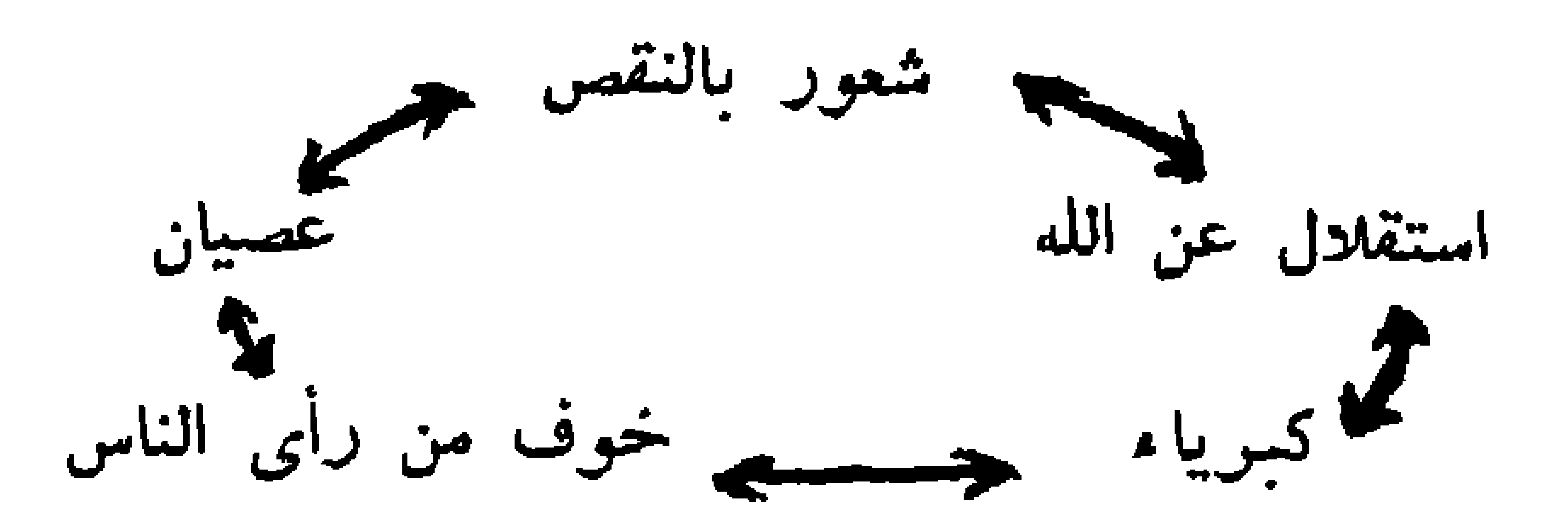
وفى النهاية جاءت كلمة الرب للنبى «ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى» (١صم ١٥: ١١).

فى لحظات قليلة انتهى كل شىء: لقد انتزعت السلطة من الملك. ومع أنه لم يترك وظيفته إلا أن السلطة فارقته. فالنفوذ يمكن أن يأتى من المكانة، ولكن السلطة لا تأتى إلا من طاعة الله والخضوع لمسحته.

وإذا دققنا النظر أكثر فى حياة شاول سنكتشف حالة غريبة يمكننا أن نسميها «مرض شاول». ففى ١صم ١٥:١٧ يقول أن شاول كان **"صغيراً فى عينى نفسه"**. وهذا بالطبع ليس تواضعاً، وإلا لما كانت هناك حاجة إلى إزاحته عن العرش. ولكن صموئيل يقول إنه على الرغم من صغر .شاول فى عينى نفسه إلا أنه كان مسئولا عن جميع تصرفاته أمام الله. فالشعور بالنقص لا يبرر العصيان.

ويسرد الأصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول مواصفات شخصية شاول: العناد والاستقلال عن الله «لأن التمرد خطية كالعرافة والعناد كالوثن والترافيم»، والكبرياء «جاء شاول إلى الكرمل ونصب لنفسه نصباً»، والخوف من رأى الناس «أخطأت لأنى خفت من الشعب وسمعت لصوتهم»، وعصيان الله «هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟» وبذلك تكتمل عناصر

الحالة وتدخل فى حلقة مفرغة كما يلى:



فالواحدة منهم تقود إلى الأخرى. فإذا لم نأت إلى الله لكى يعالج مشاعرنا الجريحة فإنها ستقودنا إلى الاستقلال عن الله، وهذا بدوره يؤدى إلى الكبرياء. والمتكبر يهتم برأى الناس أكثر مما يهتم برأى الرب، وهكذا فإننا ننزلق إلى الخوف من رأى الناس دون مخافة الرب، ومتى حاولنا أن نرضى الناس فلا بد أن نعصى الله. ربما نظل نخدم وننجز الكثير ولكن تعبنا كله يكون مجرد أعمال ميتة.

لذلك يجب أن نحترس عندما تكون لنا مشاعر جريحة، لأننا نكون عندئذ معرضين جداً إلى الوقوع فى هذه الحلقة المفرغة.

ويمكن تحديد مواصفات هذا المرض فى الأعراض التالية:

١- الانسحاب والانعزال: إن «مرض شاول»

يجعلنا ننعزل عن الناس الآخرين. وقد يكون هذا الانعزال بمثابة وسيلة نخفى بها عدم غفراننا للأشخاص الذين تسببوا فى أذى مشاعرنا.

٢- الأنانية: إن أسلوب «خدمتى» أو «مجموعتى» أو «رأيى» أو «عملى» أو «مكانى فى الكنيسة» هو أسلوب أنانى ويدل على الاستقلال عن الله. والكتاب المقدس يعلمنا أن التمرد مثل خطية العرافة، مصدره جهنم (١صم ١٥:٢٢).

٣- أسلوب «نحن» بالمقابلة مع «هم»: عندما نصاب بـ «مرض شاول» فإننا نبدأ نفكر بأسلوب «نحن» و «هم»، «الذين يتفقون معنا» و «الذين لا يتفقون معنا». هذا الأسلوب فى التفكير يدل ليس فقط على أننا لا نتفق معهم بل أيضا أننا ندينهم ونسبب انشقاقاً فى الكنيسة.

٤- حب السيطرة: الشخص المتكبر والمستقل عن الله، يكون إنساناً مسيطراً فيرفض التعاون مع الآخرين ويصر على وجهة نظره وينقد باستمرار أعمال الآخرين. وبالطبع فإنه «يروحن» آراءه مما يجعل الأمر أكثر خطورة وتعقيداً.

٥- رفض التعلم: إن «مرض شاول» يجعلنا

ننغلق أمام الآخرين، ونرفض الإرشاد أو التصحيح، ونميل إلى التحجر.

٦- أسلوب الإدانة: ونحن بالطبع نلبسه ثياباً متعددة لكى يبدو مقبولا، ولكنه فى جميع صوره لن يخرج عن نطاق النميمة وإدانة الآخرين.

٧- عدم الصبر: يجعلنا نظن أن أسلوبنا هو الأفضل، فلا ننتظر الآخرين الذين يختلفون معنا في الرأى، بحجة أنهم لا يفهمون.

٨- فقدان الثقة: أن «مرض شاول» يؤدى إلى فقدان الثقة. ونحن نتهم الآخرين بأنهم لا يثقون بنا ولكن هذا فى الواقع اسقاط لعدم ثقتنا نحن، وهى صفة ناشئة من استقلالنا عن الله.

٩- عدم الاخلاص: هذا يجعلنا نلعب بمخاوف وشكوك وجراح واحتياجات الآخرين لكسبهم إلى صفنا بدلا من العمل على تدعيم الوحدة والمحبة والغفران والمصالحة.

١٠- إنكار الجميل: فإن تركيزنا ينحصر فيما ينبغى أن نحصل عليه، وليس فيما قد حصلنا عليه من قبل.

١١- المثالية غير السوية: فإننا نعطى قيمة أكثر من اللازم لمبدأ معين أو برنامج معين، ونرفعه فوق مستوى الأشخاص خاصة الذين لا نتوافق معهم. فالمثالية تصبح أهم من التصرفات السليمة.

ومع أن «مرض شاول» ينتج فى أحيان كثيرة بسبب جرح فى المشاعر أو شعور بالرفض، إلا أن ذلك لا يبرر وجوده ولا يدعونا للتهاون معه. فليس هناك شعوراً بالنقص أو بالتمرد لا يمكن معالجته بمزيد من التواضع والانكسار فى حياتنا.

وها وعد الكتاب المقدس لنا: أننا إذا تواضعنا فإن الله يعطينا نعمة (يعقوب ٤:٦،٧). نحن نخاف من «الاذلال»، ولكن ليس هذا ما يعنيه الكتاب المقدس عندما يطلب منا أن نتواضع. فالتواضع الحقيقى هو الاقرار بحالتنا الواقعية والوقوف بجانب الله فى مواجهة خطايانا. وعلى عكس ما نظن فإن احترام الناس لنا غالباً ما يزداد بدلا من أن ينقص عندما نتواضع ونعترف باحتياجنا.

فإذا اكتشفت أنك تعانى من «مرض شاول» دعنى أقول لك أنك لن تنال الشفاء إلا بعد أن تعترف بأن هذه هى مسئوليتك أن تتوب عن موقفك الخاطىء. فلن يفيدك شيئا أن تلقى اللوم على

الآخرين، أو أن تحاول تبرير تصرفاتك. تواضع أمام الله، واصرخ إليه في صلاة حارة.

منذ عدة سنوات اكتشفت هذا المرض في حياتى. فكنت أئن تحت وطأة المخاوف وفى نفس الوقت لا أتخلى عن كبريائى واستقلاليتى. كنت أتوق إلى العون والإحساس بالقبول ولكننى لا أعترف باحتياجى. كنت أهتم جداً برأى الآخرين فى. خاصة رأى القادة الآخرين. ولم أتحرر من هذه الحالة إلا بعد أن تواضعت أمام الله وتبت إليه وأعلنت أمامه أننى أريد قيادته لى أكثر مما أريد رضى الناس. وقضيت يوماً كاملا منفرداً مع الله فى إحدى الغابات فى هولندا وقلت للآب: «إننى أريدك بأى ثمن أن تنزع من حياتى الكبرياء والاستقلالية وحب استرضاء الناس». قلت له: «إننى مستعد أن أنتظر أى مدة تراها لازمة لعلاج هذا الأمر، حتى إلى ١٢ سنة مثل التى قضاها يوسف فى مصر». نعم، لقد كانت هذه الصلاة مكلفة، ولكنى لم أندم عليها أبداً. فلقد سمعنى الرب فى ذلك اليوم وأجرى تغييرات جذرية فى حياتى.

التحرر من الخوف من رأى الناس:

لن نقدر أن نحب الله محبة حقيقية طالما كنا

مستعبدين للخوف من رأى الناس. والكتاب المقدس يقول لنا إن حب إرضاء الناس هو فخ لنا. فإننا نصبح أسرى الخوف مما يظنه الآخرون فينا، فتتحكم فينا تصرفاتهم بدلا من أن تتحكم فينا كلمة الله. هل تشعر أنك دائماً قلق بخصوص ما يقوله الآخرون عنك؟ هل تحدد تصرفاتك على أساس الاستحسان الذى ستناله من الآخرين وليس على أساس إرضاء الله؟ لو كنت هكذا فأنت مستعبد للخوف من رأى الناس. وخوف الناس علاجه هو خوف الله. ليس خوفاً من غضبه ولا خوفاً نفسياً، بل هو خوف يصفه الكتاب المقدس كما يلى:

١) خوف الله هو كره للخطية: يقول سفر الأمثال ١٣:٨ أن «مخافة الرب بغض الشر».

٢) خوف الرب هو الالتصاق بالله والعلاقة القوية معه: يقول مزمور ١٠:٩٧ أن الله يحب الذين يكرهون الشر، ويقول مزمور ١٤:٢٥ أن «سر الرب لخائفيه».

٣) خوف الرب هو الاحترام والخشوع له. يقول مزمور ٨:٣٣ «لتخش الرب كل الأرض ومنه ليخف كل سكان المسكونة».

٤) خوف الرب هو بداية الحكمة والمعرفة: يقول فى أمثال ٧:١ أن «مخافة الرب رأس المعرفة».

إن خوف الرب لا يتمثل فى ظهور بعض ملامح القداسة على وجهك، ولا فى النبرة المرتعشة التى تغلف صوتك عندما تصلى. وكذلك فهو لا علاقة له بنوع الملابس التى تلبسها ولا بعدد القوانين التى تطيعها.

ولكن خوف الرب هو ببساطة حب الرب إلى درجة تجعلنى أكره كل ما يكرهه الرب. وهذا النوع من الكراهية لا ينتج من العصبية الدينية، ولا هو انعكاساً لثقافتنا الخاصة. بل هو كراهية ناتجة من التصاقنا الشديد بالرب إلى درجة التشبع بصفاته، فنحب ما يحبه ونكره ما يكرهه. خوف الرب هو الغضب على الخطية وعلى آثارها المدمرة. فإنه يجعلنا نرى القسوة والخداع والعبودية والدمار الذى ينتج عن الخطية وبالتالى نكرهها لهذا السبب. إن خوف الرب لا يأتى إلى حياتنا بالصدفة، بل هو يسكن فينا لأننا باختيارنا طلبناه (أمثال ١:٢٨، ٢٩؛ ٢:١-٥) وجعلناه هو الأولوية الأولى فى حياتنا. إنه يأتى لأننا تعبنا من العبودية لخوف الناس ولمخاوفنا الشخصية. إنه يأتى لأننا طلبناه باصرار وبتوق شديد.

إن «مرض شاول» له علاج. يمكنك أن تتحرر منه، ولكن هناك ثمناً يجب عليك أن تدفعه. إذا كنت تريد أن تختبر الشفاء الداخلى وتعرف محبة الآب يجب عليك أن تختار خوف الرب. يقول سفر الأمثال ١٤:٢٦ «فى مخافة الرب ثقة شديدة». فالتواضع وخوف الرب هو الذى يقربنا من قلب الله الأبوى ويمنحنا الشفاء ويجعل لحياتنا قيمة.

كيف يشفى الله القلوب الجريحة

فى الفصل التالى ستجد خطوات شفاء الجروح النفسية والعاطفية، ولم أقصد بهذه الخطوات أن تستعملها كوصفة سحرية أو تعويذة، بل يجب تطبيق كل واحدة من هذه الخطوات على حياتنا فى وقتها بقيادة الروح القدس (وإذا كنت لا تعرف كيف تنقاد بروح الله، اطلب منه أن يساعدك، فإنه قد وعد أن يساعد الذين يطلبونه). خذ كل خطوة وطبقها بطريقة شخصية على حالتك.

إذا كانت مشاكلك معقدة، فربما ستحتاج إلى مرشد أمين يمكنك أن تستشيره، ولكن يجب أن تدقق فى اختيار ذلك المرشد. فلا ينبغى أبداً أن تسلم نفسك لأى شخص للمشورة أو الإرشاد إلا إذا كنت تشعر بالأمان معه وتثق فى كفاءته، وكما أنه من حقه

أن يسألك أسئلة فمن حقك أنت أيضاً أن تسأله أسئلة.

لا ينبغي لنا أن نعيش فى ألم نفسى مستمر. فإن أبينا السماوىُ قد أعطانا حبه ويسوع تألم بدلا عنا، ولذلك فلم يعد من الضرورى أن تظل آلامنا النفسية لاصقة بنا مدى الحياة. إن من حقك أن تحصل الشفاء، وأن تعيش فى ملء فرح محبته. ولكن يجب أن تكون راغباً فى دفع الثمن.



أنا أعطيكم

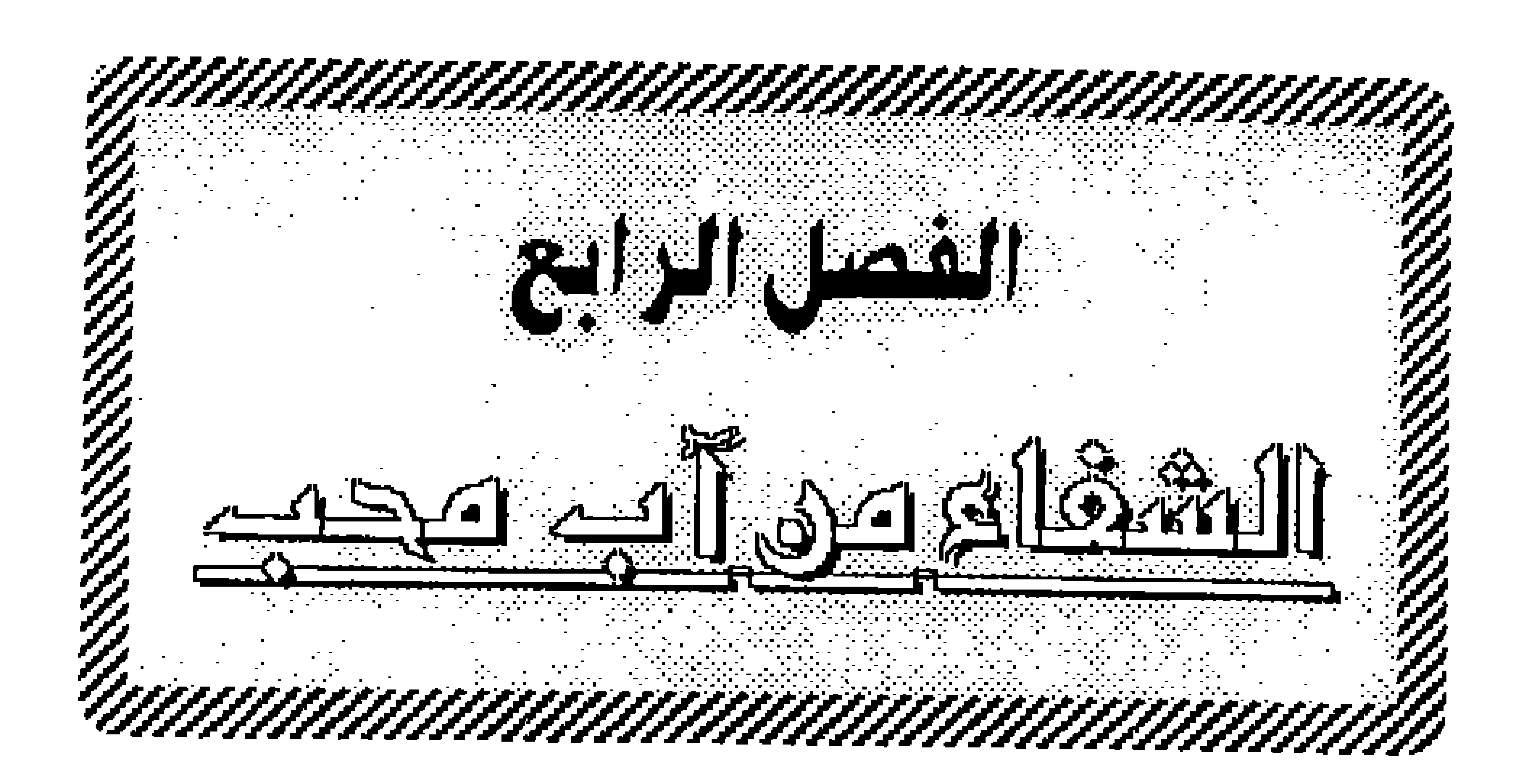
فماً وحكمة

لا يقدر

جميع معانديكم

أن يقاوموها أو يناقضوها

لوقا ٢١: ١٥


الفصل الرابع
الشفاء من آب محب

قابلت ذات مرة رجلا فى مدراس، بالهند، يقول إنه لم يخطئ أبداً! فلأننا كنا كلينا مهتمين بالأمور الدينية، تطورت المناقشة بيننا بسرعة إلى موضوعات حيوية. ولما أخبرته أننى أؤمن أن الله يغفر للذين يقرون بخطاياهم، قال لى إنه لم يفعل أبداً شيئاً خاطئاً.

سألته: ألم يحدث أبداً أنك كذبت؟

أجاب: لا، ولا مرة واحدة.

- ولا أن سرقت شيئاً ولا أن كرهت شخصاً؟

- لا، أبداً

- ولا أن زنيت؟

- لا.

- ولا أن عصيت والديك؟

- كلا.

- ألم يحدث أبداً أنك ارتكبت غشاً فى امتحانات المدرسة؟

- ولا هذه.

فتحيرت، ثم فكرت فى سؤال آخر. قلت له:
«هل تشعر بالفخر لأنك لم تخطئ أبداً؟»
أجاب: نعم، إننى فخور بذلك جداً.
قلت له: إذاً فهذه هى خطيتك الأولى، أنك إنسان متكبر. فضحك الرجل بصوت عال، وهنأنى لأننى ضبطته متلبساً بخطيته الوحيدة!

ومع أننا لسنا جميعاً فى مثل كبرياء هذا الرجل، إلا أننا جميعاً قلدنا خطية آدم الأساسية. فإن آدم قد أنكر على الله حقه فى السيادة على حياته، واختار أن يسلك بالاعتماد على نفسه. ونحن جميعاً فعلنا مثله واتخذنا نفس القرار. إنه حقاً من الصعب علينا أن نقر بأننا قد تمردنا على الله وأنكرنا عليه حقه فى أن يكون رباً وسيداً على حياتنا. ولكن إذا لم نعترف بأنانيتنا، التى هى أساس كل المشاكل البشرية، فإن أى علاج للجراح والاحتياجات الموجودة فى حياتنا لن يجدى بل سيعمل فقط على تأجيل النتائج المحتومة. إن المسكنات لا يمكن أن تشفى مريض السرطان ولكنها فقط تزيل الألم، وهذا مهم، ولكن لماذا نلجأ إلى الحل المؤقت طالما أن هناك حلاً جذرياً للسرطان؟

الله، كأب محب، يشتاق أن يغفر لنا فقط إذا اعترفنا بكبريائنا وأنانيتنا وطلبنا منه الغفران. إنه يريد أن تكون لنا علاقة وثيقة به، وهو يتوق إلى إزالة جميع العوائق التى تعيق اتصالنا به.

بعض الناس يظنون أنه إذا كان الكتاب المقدس يسمينا خطاة، فهذا معناه أن الله يرفضنا. هذا غير صحيح. فإن الله يقصد فقط أن يساعدنا على فهم مشكلتنا الأساسية وطريقة التغلب عليها.

إننا لسنا فقط خطاة، بل أيضاً مخطأ إلينا. فإننا كثيراً ما نتعرض لأشياء مؤلمة جداً من جانب الآخرين، يفعلونها لنا إما عن قصد بسبب الأنانية، أو عن غير قصد لأنه لا يوجد إنسان كامل. ولكن على جميع الأحوال فإن هذا لا يبرر ردود الأفعال الخاطئة من جانبنا، بل إنه يساعدنا فقط على اكتشاف أنفسنا.

وللحصول على أقصى قدر من الشفاء والبركة، أقترح عليكم أن تمروا بالخطوات التالية بتأنى وصلاة. اعطِ لنفسك فرصة بعد قراءة كل خطوة لكى تصلى وتطبقها على حياتك. وإذا وجدت الأمر مؤلماً جداً اطلب من صديق لك أو قائد روحى أن يمر معك عبر هذه الخطوات. وعليك أن تكون

مستعداً لشيء من الألم إذا كانت هناك جراح لم تعالج بعد. فلكي تشفى هذه الجراح بالطريقة الصحيحة، ربما تحتاج إلى فتح وتنظيف من أي «تلوث» أو مرارة تكون قد لوثتها. ومع أن ذلك قد يكون مؤلماً إلى حين، إلا أنه سيجلب فرحاً وشفاء على المدى الطويل. إنه سيحررك ويجعلك أكثر قرباً من قلب الله الأبوي.

كيف يشفى الله جروحنا العاطفية ؟

الخطوة الأولى : أن نقر بحاجتنا إلى الشفاء :

وهذه بالنسبة للكثيرين لا تمثل مشكلة، ولكن إذا كنا مجروحين ولم نقر بأن لدينا احتياج، فإن هذا يقلل كثيراً من فرصة شفائنا. إن إقرارنا باحتياجنا هو دليل على سلامة التفكير وأيضاً على صدقنا مع أنفسنا.

إننا جميعاً محتاجون إلى الشفاء وإلى النمو فى عواطفنا وفى شخصياتنا. **فلا تظن أنك حالة** استثنائية. بل إن هذا الموقف يدل على أنك مستعد لإصلاح ما فسد، وأن لديك التواضع الذى يسمح لعملية الشفاء أن تبدأ فى حياتك. إن البعض يخافون من الكشف عن احتياجاتهم خوفاً من أن يسقطوا فى نظر الآخرين. ولكن العكس هو الصحيح: فإننا عندما

نقر باحتياجنا، يحترمنا الآخرون أكثر من أجل أمانتنا. وربما لا نزال نتذكر بعض المواقف التى فيها كشفنا عما بداخلنا فتعرضنا للأذى من شخص ما لأنه لم يعرف كيف يتعامل مع الموقف بمحبة وبحكمة. ولكن مثل هذه المواقف لا ينبغى أن تحرمنا من الشفاء الذى يريد الله أن يمنحه لنا. فالاساءات الماضية لا ينبغى أن تحكم تصرفاتنا فى المستقبل.

فلنبدأ بأن نكون صادقين مع الله. إنه يعرفك جيداً ولا يمكن أن يصدك أبداً. بل إنه فى الحقيقة يشتاق وينتظر منك الصدق لكى يقدر أن يمنحك حبه وعونه. أخبره بآلامك وبمخاوفك وبمصادر الاحباط فى حياتك. أخبره بكل شىء. وبعد ذلك انفتح على شخص يمكنه أن يساعدك فى اجتياز مراحل الشفاء بنجاح. اختر صديقاً مؤمناً وموثوق به يمكنه أن يصلى معك وأن يشجعك.

لو كنت قد أسأت إلى آخرين، فستحتاج أن تذهب إليهم وتصالحهم. هذا جزء من الاعتراف باحتياجاتنا. ونحن لا نفعل هذا لكى نحصل على غفران الله ولكن لأننا حصلنا عليه. فإن العلاقة السليمة مع الله ينتج عنها شوق إلى استعادة العلاقات المفقودة بيننا وبين الآخرين.

ويقدم جون ستوت الواعظ الأنجليكانى المشهور، فى كتابه «اعترف بخطاياك» بعض التحذيرات الهامة فى هذا الشأن. فهو يتكلم عن دائرة الاعتراف العلنى: الخطايا السرية، والخطايا الشخصية، والخطايا الجهارية. ويقول إننا ينبغى أن نعترف بالخطية فقط فى الإطار الذى تم ارتكابها فيه. فإذا كانت خطية سرية، أى خطية فى القلب أو فى الفكر ولم تخرج أبداً إلى حيز التنفيذ، هذه يجب الاعتراف بها لله فقط. ومن حقك أن تشارك هذه الأمور مع الأصدقاء المقربين كنوع من الأمانة وتحمل المسئولية، ولكن هذا ليس إلزاماً بل بمحض اختيارك. وفى الواقع، فإننا لا ينبغى أن نفعل ذلك إلا إذا كنا نشعر بالثقة الكاملة مع هؤلاء الأشخاص وشعرنا أن الله يوجهنا بالتحديد فى هذا الاتجاه، وليس بسبب الضغوط. وحتى فى هذه الحالة يجب أن نكون حريصين جداً بخصوص ما نشارك به.

فقد يكون من غير الحكمة بالمرة أن نعترف ببعض خطايا القلب أمام الناس. فإذا كان الشخص الذى أخطأت إليه فى قلبك ليس علي علم بذلك الأمر، فلا ترهقه به إلا إذا كان هناك سبباً واضحاً يدفعك إلى ذلك. وإذا كنت غير متأكد تماماً فلا تفعل إلى أن

تستشير أولا شخصاً ناضجاً.

توجد خطايا سرية أو خصوصية لها طابع «مخزى». وأعتقد أنه قد آن الأوان لنا أن نستعيد حياءنا بخصوص بعض الخطايا خاصة الخطايا الجنسية. فلو اضطررنا أن نطلب العفو من أحد فى هذا المجال، لا ينبغى أن ندخل فى التفاصيل ولا أن نكون غير حكماء فى انتقاء كلماتنا. علينا أن نقول فقط ما ينبغى أن يقال. اعترف له بأنك قد أخطأت إليه أو أسأت إليه واطلب منه الغفران، هذا يكفى.

وأفضل قاعدة يمكننا أن نتبعها فى هذا المجال هى هذه: إذا كانت الخطية سرية اعترف بها لله، وإذا كانت شخصية اطلب الغفران من الشخص الذى أخطأت إليه، وإذا كانت علنية اطلب عفو المجموعة.

ويمكن تلخيص خطوات الحصول على الشفاء فيما يلى:

(أ) الاقرار باحتياجاتنا وبخطايانا: فإن الإخلاص يطلق نعمة الله إلى حياتنا.

(ب) تلقى نعمة الله: النعمة هى هبة الحب والقبول والغفران التى يمنحها الله لنا، وهى تجعلنا نشعر بالأمان معه. والإحساس بالأمان يقود إلى الإيمان.

(ج) الثقة فى الرب وفى الآخرين: الإيمان يولد الثقة ويجعلنا قادرين على إنشاء علاقات وثيقة بالله وبالآخرين.

(د) بناء علاقات قوية مع الله ومع الآخرين: هذه العلاقات لا تتحقق إلا بعد أن نتواضع. فإن الله عندئذ سيقدر أن يوصل حبه وغفرانه لنا شخصياً، ثم من خلالنا إلى الآخرين.

أما عكس هذه الخطوات فإنه يقود إلى مزيد من الألم والأذى النفسى كما يلى:

(أ) انقطاع العلاقات: وعندما تنقطع العلاقات نجد أنه من الصعب جداً علينا أن نثق فى الآخرين.

(ب) الإدانة: عندما تكون علاقتنا بالآخرين غير سليمة، فإننا نميل إلى الإدانة، ونعيش بحسب «الناموس» وليس بحسب نعمة الله. وهذا يجعلنا نفقد ثقتنا فى الآخرين.

(ج) فقدان الثقة: عندما نفقد ثقتنا فى الآخرين، فإنهم هم أيضاً يفقدون الثقة بنا. وهكذا ينشأ جو من الرفض والانعزال وتعلو الحواجز بيننا وبين الآخرين.

(د) الانعزال: والانعزال يقود إلى برود

العلاقات، بدلا من توطد العلاقات مع الآخرين.

وفى مجال الصدق بخصوص احتياجاتنا، يجب علينا أن نفرق بين الخطية، والجرح، والقيد. فالخطية تحتاج إلى غفران، والجرح يحتاج إلى شفاء، والقيد يحتاج إلى تحرير. وأحياناً يكون احتياجنا شاملا لهذه الأوجه الثلاثة كلها.

ولا ينبغى لك أن تعترف بجرح وكأنه خطية، لأن الجرح ليس خطية. أما إذا كنت بسبب الجرح، قد اتخذت موقفاً خاطئاً، حتى ولو كان الطرف الآخر قد أخطأ، فإن الله سيعتبرك مسئولا عن رد فعلك الخاطىء. وفى الواقع، فإن الله لن ينظر إلى الشخص الآخر أنه مخطئ بنسبة ٨٠٪ وأنك أنت مخطىء بنسبة ٢٠٪، بل أن كليكما مخطىء ومسئول عن تصرفاته بنسبة ١٠٠٪. فما لم تقر بمسئوليتك الكاملة عن تصرفاتك ومواقفك، لن تقدر أن تحصل على الشفاء. لماذا؟ لأن المرارة والحقد وعدم الغفران يمنع وصول الشفاء والغفران الآتى من الله. «فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى. وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم» (مت ٦:١٤،١٥).

ليس هناك ما هو أهم من الاعتراف باحتياجنا إلى الشفاء فى حياتنا. فإننى قد رأيت أناساً كثيرين منهمكين فى عمل أشياء لله، ولكن مجهوداتهم كانت مشوبة بدافع إثبات الذات ونوال القبول، أو للتغلب على الإحساس بعدم الأمان من جراء أفعال سابقة. إن خدمتنا لله وللآخرين يجب أن تنبع من الشعور بالأمان والرضى على النفس وليس بدافع اثبات ذواتنا أو لأننا محتاجين أن نشعر بأننا «مهمون». فإذا أعطينا لأنفسنا الفرصة لكى نحصل على الشفاء الداخلى، سنقدر عندئذ على المدى الطويل أن نقترب أكثر من أبينا المحب وأن نزداد ثقة فى نفوسنا وأن نعمل أعمالنا بفرح ونصير بركة للآخرين.

الخطوة الثانية : أن نعترف بعواطفنا السلبية

بعض الناس منا يختزنون كماً كبيراً من العواطف السلبية التى مرت بهم فى حياتهم. فإنهم لم يتعلموا كيف يحددوا أحاسيسهم وكيف يشاركوا الآخرين بخصوصها، ولذلك فإنهم يختزنون الغضب، والخوف، والإحباط، والمرارة وسائر المشاعر السلبية منذ بداية طفولتهم. وكبت المشاعر الواحد تلو الآخر يشبه حشر طبقات من القمامة الواحدة تلو الأخرى فى كيس القمامة، لابد فى النهاية أن ينفجر. هذه العملية

التراكمية للمشاعر التى لا نعرف هويتها والتى لا نفصح بها لأحد تؤدى إلى نتائج مأساوية تتراوح فى خطورتها بين قرحة المعدة والانتحار. كثيرون منا لم يتعلموا كيف يتعاملوا مع الصعوبات. فإننا قد نمونا من الناحية الجسدية أما من الناحية العاطفية فنحن أقزام. توجد فى حياتنا عوائق نفسية تعوقنا عن الأخذ والعطاء فى علاقاتنا مع الآخرين ومع أبينا السماوى.

يرى «د. فيل بلاكلى» أن حل هذه المشكلة يحتاج إلى «الانفتاح» أو إخراج المشاعر المتراكمة بداخلنا. وهنا لابد من وجود شخص يستطيع أن يساعدنا فى إخراج هذه المشاعر. وبالنسبة للمؤمنين يتلخص مفتاح هذه العملية فى الصلاة. فإن لم يكن يسوع هو الشخص الذى نلجأ إليه قبل أى شخص آخر فلن نقدر أن نحصل على أى شفاء. إنه هو خالقنا، وهو ينتظر بشوق أن نشارك مشاعرنا معه لأنه لا يوجد من يعتنى بنا مثله.

ثم نحتاج أيضاً أن نتكلم مع الآخرين. فإنه من المهم جداً أن تكون لنا صداقات مع أشخاص يقدروننا ويحترموننا ولكن فى نفس الوقت مستعدون بسبب حبهم لنا أن يواجهوننا بحزم عندما نخطىء.

والتنفيس عن العواطف ليس علاجاً فى حد ذاته. ولكن عندما نبوح بمشاعرنا ينقى قنوات ذهننا بحيث يمكننا التوصل إلى جذور مشكلتنا. فعندما نبوح بمشاعر الإحساس بالذنب، هذا لا يعنى أننا قد عالجنا أسباب هذا الإحساس، هذا هو الخطأ الذى يقع فيه علماء النفس. فالناس عندما يتكلمون عن أحاسيس الذنب فى حياتهم قد يشعرون بشىء من التحسن، ولكن إذا لم يعقب ذلك مواجهتهم لأنفسهم بأنهم مسئولين عن كسر قوانين الله الأدبية، فإن الإحساس بالذنب لابد أن يعود إليهم مرة أخرى (إلا إذا كان الشخص قد أمات ضميره وفقد الإحساس تماماً).

ومع أن العواطف فى حد ذاتها ليست خطية، إلا أنها يمكن أن تقود إلى مواقف خاطئة إذا وجهناها بطريقة سلبية سواء نحو الله أو نحو أنفسنا أو نحو الآخرين. وهنا نحن نحتاج إلى المقاييس الكتابية لكى نقيس عليها مواقفنا ونحكم فيما إذا كانت قد أصبحت خاطئة. ولو اكتشفنا أنها هكذا بالفعل يجب علينا أن نتعامل معها على هذا الأساس.

إن الله لا يريدنا أن نحيا بحسب مشاعرنا أو من أجلها. فإن بعض الناس شعارهم فى الحياة أن ما يشعرون أنه جيد فهو جيد، وما يشعرون أنه خطأ

فهو خطأ. هذه فلسفة وجودية سليمة ولكنها ليست من المبادىء المسيحية. فإننا ينبغى أن نعيش بحسب الحق المعلن لنا فى الكتاب المقدس وليس بحسب ما تمليه علينا مشاعرنا. فلقد أعطانا الله العواطف لكى تكون مشجعة لنا على اتخاذ القرار الصحيح. ولكن عندما تكون حياتنا غير مبنية على قوانين الله، فإننا نميل إلى تحوير قصد الله الأصلى من العواطف فنستخدمها لتعضيد نمط حياة المتعة والأنانية. بعض الناس محكومون تماماً بمشاعرهم، والبعض الآخر لا يعرف حتى أنه توجد له مشاعر. فإنهم يتجاهلون مشاعرهم إلى الحد أنهم يظنون أن عدم إظهار أى مشاعر بالمرة فهذا «منتهى المسيحية». كلا ليس ذلك من النضج ولا من الروحانية. فإن الله قد خلقنا لكى نعيش حياة متوازنة فيها نعبر عن عواطفنا ونستمتع بها ونتعامل معها بصدق وبطريقة بناءة.

الأزواج والآباء والقادة الروحيون يمكن أن يمثلوا عوناً كبيراً لعائلاتهم ولرعيتهم إذا شجعوهم على التعبير عن مشاعرهم بحرية. فإن رغبتنا فى قيادة الآخرين يمكن أن تكون عديمة النفع بل أيضاً ضارة إذا حرمنا الناس الذين تحت مسئوليتنا من حق التعبير عن عواطفهم. فإننا بإعطاء الفرصة للذين

حولنا لكى يكونوا صادقين مع أنفسهم، نستطيع أن نقودهم إلى علاقة أعمق مع الله. فإنهم سوف يثقون بنا أكثر ويشعرون بأننا مهتمون بهم، وهذا بالتالى سوف يعطينا الفرصة أن نتكلم معهم بصراحة فيما يختص بحياتهم.

حيث لا توجد ثقة، لا يوجد سلطان. فإذا أعطينا الناس الفرصة لكى يكونوا صادقين، هذا يعطيهم الإحساس بالأمان فى التعبير ليس فقط عن عواطفهم بل أيضاً عن احتياجاتهم. فالشخص الذى يعانى من فقدان الثقة فى الآخرين خاصة فى من هم فى موقع سلطة، هذا الشخص غالباً لم يتعلم أبداً أن يعبر عن مشاعره بصدق فى جو من الحب والقبول.

فى إحدى الأمسيات كانت زوجتى سالى تشاركنى مضايقتها بخصوص بعض المشاكل الشخصية. فبدأت فى الحال أقدم لها النصح. ولا يمكن أن أنسى أبداً رد فعلها، فقد قالت لى: «أنا لم آت إليك لكى تعظنى، إن هذا يشعرنى أنك لا تهتم بمشكلتى. إننى محتاجة فقط إلى شخص ينصت إلى. وإذا لم أستطع أن أتكلم معك، إذاً مع من سوف أتكلم؟». فى ذلك اليوم قررت أننى ينبغى أن أكون ذلك الزوج الذى يمنح الحرية والأمان لزوجته (وللآخرين أيضاً)

لمشاركة مشاعرها معى بدون خوف من إدانة أو وعظ أو توبيخ.

ولكى تكسر دائرة كبت المشاعر التى تقود إلى فقدان الثقة، اطلب من الله أن يعطيك الفرصة للكلام مع شخص أمين يساعدك فى أن تكون صادقاً فى مشاعرك. وأيضاً اغفر للذين فى الماضى لم يعطوك هذه الفرصة. وليكن دافعك فى المشاركة ليس أن تقنع الشخص الآخر بوجهة نظرك بل أن تكون أميناً. والأمانة فى حد ذاتها ليست الهدف النهائى، ولكنها يجب أن تكون نابعة عن رغبة فى التعبير عن المشاعر السلبية بهدف التحول فيما بعد إلى الشخصية التى يريدك الله أن تكونها.

وإذا كنا قد جرحنا ممن هم فى موقع سلطة أو إذا كنا على خلاف معهم، يجب أولا أن نصلى قبل أن نواجههم. وإذا حدث بعد أن صلينا واستمر عدم تفهمنا لقرار ما قد اتخذوه، يمكننا عندئذ أن نطالبهم بتوضيح وجهة نظرهم. فإننا من حقنا أن نختلف فى وجهة نظرنا مع قادتنا، ولكن يجب أن نحترس فلا ندع هذا الخلاف يؤثر على موقفنا تجاههم. نستطيع أن نختلف بدون أن نقع فى الإدانة ولا أن نقطع علاقتنا بهم. فالخلافات لا ينبغى أن تؤدى إلى

الانفصال، لأن الخلافات البناءة مطلوبة، ولكن إذا تطورت الخلافات إلى انتقاد أو إدانة فهنا يحدث الخصام. إن أى مشكلة خصام يمكن حلها بمزيد من التواضع والغفران. إن الله يهمه موقف قلوبنا مثلما يهمه أن يساعدنا على النمو من خلال الانفتاح والصدق مع مشاعرنا.

الخطوة الثالثة : أن نغفر للذين أساءوا إلينا :

الغفران ليس مجرد نسيان الإساءة التى ارتكبها الغير من نحونا، ولا هو نوع عجيب من المشاعر الروحية. ولكنه ببساطة هو أن نسامح الشخص على ما فعله، وأن نقدم الحب والقبول على الرغم من الأذى.

والغفران نادراً ما يتم مرة واحدة، فإننا نحتاج أن نظل نغفر إلى أن يزول الألم. وكلما كان الجرح أعمق كلما احتجنا أن نقدم غفراناً أقوى، تماماً مثل الطبيب الذى يجب أن يحافظ على الجرح نظيفاً وخالياً من أى تلوث إلى أن يبرأ بصورة صحيحة، كذلك نحن أيضاً يجب أن نحافظ على جروحنا العاطفية نظيفة وخالية من أى مرارة لكى تبرأ. الغفران هو المطهر للجروح العاطفية. ففى كل مرة تفكر فى شخص معين وتشعر بالألم، قدم له الغفران.

قل للرب أنك تغفر لهذا الشخص وأنك تختار بإرادتك أن تحب هذا الشخص بمحبة الرب نفسه. تلقى من الرب بالإيمان مقداراً من الحب لكى تقدمه لهذا الشخص. وداوم على عمل ذلك كل مرة تفكر فيه إلى أن تشعر فى النهاية أنك فعلا قد سامحته.

إن غفران الله لنا يجب أن يكون هو دافع غفراننا للآخرين. فإذا وجدت صعوبة فى مسامحة أى إنسان فكر فى مقدار مسامحة الله لك. وإذا لم تجده مقداراً كبيراً اطلب من الله أن يعلن لك حقيقة نفسك كما يراها هو. وهو لابد أن يستجيب صلاتك لو سألته بإخلاص.

الخطوة الرابعة : اقبل الغفران

لو كنت قد أسيء إليك من جانب شخص ما، وكان رد فعلك تجاهه خاطئاً. عندئذ فإنه لا يكفى أن تسامح ذلك الشخص، بل أيضاً أن تطلب من الله أن يسامحك على تصرفك الخاطىء معه. وإذ تفعل ذلك فربما ستكتشف أنك محتاج أن تسامح نفسك. فأحياناً يكون عدونا الأكبر هو إحساسنا الشخصى بالفشل. وكثيراً ما نكون قساة على أنفسنا أكثر من أى شخص آخر. فإذا كنت قد فشلت، اسكب إحساسك بالخطأ أمام الله فى الصلاة، واعترف بخطيتك، وأخبره أنك

تقبل غفرانه وأنك تغفر لنفسك. وإذا عاد إليك هذا الإحساس بالفشل فى أى وقت، اشكر الله على غفرانه لك.

هناك فرق بين التبكيت وبين الإدانة. فالإدانة تنبع من الشعور بالفشل. أما التبكيت فهو ينتج عن الخطية. والتبكيت محدد، وواضح، ومصدره الله، أما الإدانة فهى عامة وغير محددة، وصادرة إما من أنفسنا أو من الشيطان. فإذا كنت تظن أنك أخطأت ولكنك لست متأكداً، اطلب من الله أن يبكتك. وهو كأب محب لابد أن يؤدبك بالمحبة. وإذا لم يأت التبكيت بينما أنت منتظر أمامه فى الصلاة، اشكره على محبته وعلى غفرانه وامض فى طريقك. ويجب أن تظل مفتوحاً أمامه كاشفاً له عن موقفك الخاطىء، ولكن لا تدع فحصك لنفسك يصيبك بالشلل، ولا تتمرغ فى حمأة الشفقة على الذات، فإنه لا يوجد فيها إلا الدمار.

وإذا كانت لك مشاعر خاطئة تجاه أى شخص قد أساء إليك، فمن الضرورى أن تعترف بها لله. ولكن احذر فإن الشفقة على الذات يمكن أن تتنكر فى صورة توبة. إن تعاملك مع هذه المشكلة سيطلق روح الله للعمل فى قلوب الآخرين، وحتى إذا لم

يحدث ذلك، فإنه من واجبك أن تستمر فى حفظ قلبك سليماً أمام الله. أما إذا تغلبت عليك القسوة أو الإدانة أو الغيرة أو الكبرياء أو الانتقاد أو المرارة، فعندئذ يجب أن تعالج هذه المشاعر. تواضع أمام الله، وهو سيسامحك وسيبرىء جروحك. حقاً إن الغفران يجلب الشفاء

الخطوة الخامسة : اقبل حب الآب

يوجد فى حياتنا فراغ لا يمكن أن يملأه سوى الله نفسه. وعندما تخطىء وتطلب الغفران، أو عندما تصارع مع الشعور بعدم الأمان أو بالنقص، فعلى أغلب الظن أن هذا الفراغ لم يمتلىء. اطلب من الله فى هذه المواقف أن يملأك بروحه إلى حد الفيض. قف فى وجه التفكير فى الذات، وذلك بالتركيز عليه هو. هذه خطوة فى منتهى الأهمية فى عملية الشفاء. فإن الشفقة على الذات والتمركز حول الذات يحزن الروح القدس.

ركز أفكارك وصلاتك على صفات الله وعلى الأوجه المختلفة لقلبه الأبوى. اعبده: تكلم إليه، رنم له، وفكر فيه. تأمل فى أمانته وقداسته ونقاءه وحنانه ورحمته وغفرانه. إن اكتساب روح العبادة يساعد جداً على قبول حب الآب. فحاول أن تزرع

فى داخلك هذه الصفة، احفظ أجزاء كتابية أو ترانيم تستطيع أن تستخدمها كأسلحة لمقاومة اليأس والشعور بالوحدة. إن روح العبادة هى البوابة التى تقود إلى محضر الآب وتبعدك عن الاكتئاب والشفقة على الذات. بعض الناس يقولون أنهم لا يستطيعون أن يعبدوا الله إذا لم يشعروا بالرغبة فى ذلك لأنهم يظنون أن هذا رياء. وإجابتى على ذلك هى أننا لا نعبد الله بناء على مزاجنا نحن ولكن بناء على صفاته هو. إننى كثيراً ما أعبد الله بغض النظر عن مشاعرى. فإننى أرفض أن أكون أسيراً لمشاعرى، ولذلك فإننى أسبح الله فى كل الأحوال. وإذا كنت يائساً، فإننى أحاول أن أعبر عن مشاعرى بصدق، ولكننى أنتقل فى الحال إلى التركيز على شخصه هو وليس على مشاعرى أنا.

هل تريد أن تقبل حب الآب؟ عليك بأن تقضى وقتاً فى محضره. فإننا ننغمر فى محبته عندما نقضى وقتاً معه، مقدمين له من خلال كلماتنا وأفكارنا التمجيد والعبادة والتسبيح. لو وجدت ذلك صعباً، مر على كتابك المقدس وضع خطاً تحت الأجزاء التى تتكلم بصفة خاصة عن طباع الله. ويمكنك أن تبدأ بسفر المزامير. ثم صل ورنم هذه الأجزاء للآب فى

أوقات صلاتك. لو فعلت ذلك يومياً ستجد أنك تنمو أكثر وأكثر فى محبته. ستشعر بحضوره بالقرب منك كرد فعل لكلمات التسبيح. ولا تندهش إذا وجدته يكلمك طوال اليوم بكلمات الحب والرضى والتقدير. فإنه يسر بأن يحب أولاده!

الخطوة السادسة : فكر أفكار الله

كنتيجة للإساءات التى تعرضنا لها، خاصة ونحن أطفال، نمت عاداتنا فى اتجاه مدمر وهو التفكير فى ذواتنا. فمثلا، إذا كان والديك من النوع المثالى المدقق، فعلى الأرجح أنك كثيراً ما كنت تفشل فى أن تعيش على المستوى الذى يتوقعونه منك. والأشخاص الذين نشأوا هذه النشأة غالباً ما يبرمجون أنفسهم على الفشل. فإنهم يحددون لأنفسهم مسبقاً أنهم سيفشلون وذلك لكى يحموا أنفسهم من الاحباط. وللأسف فإن هذه التوقعات كثيراً ما تتحقق. فإذا وضعنا فى أذهاننا أننا أردياء، فإن هذه الفكرة ستنعكس ليس فقط على مشاعرنا بل على سلوكنا أيضاً.

يقول الكتاب المقدس أننا يجب أن نحب الله من كل قلوبنا ومن كل نفوسنا ومن كل أفكارنا وأن نحب قريبنا **كأنفسنا** (انظر لاويين ١٨:١٩، متى

١٩:١٩). فواضح أن الله يريدنا أن نحب أنفسنا، ليس بطريقة أنانية، ولكن بحبه هو. إنه يريدنا أن نفكر أفكاره هو فينا، التى هى أفكار تقدير واحترام وثقة وخير.

لو كنت تفكر فى نفسك بطريقة سلبية، فإننى أقترح عليك أن تتوقف عن القراءة الآن وتكتب على ورقة نمطين أو ثلاثة من أنماط التفكير السلبية الأكثر شيوعاً فى تفكيرك. وبعد أن تفعل ذلك، اكتب بعض الأفكار التى تظن أن الله يفكر بها من جهتك بناء على صفاته وطباعه التى هى على عكس أفكارك السلبية. فمثلا، لو كتبت أنك تفكر دائماً أنك ستفشل، اكتب «إننى أجيد ________» أى الشىء الذى تجيد عمله. وأيضاً اكتب ما الذى يقوله الكتاب المقدس بهذا الشأن. مثلا: «أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى» (فيلبى ٤:١٣). وكل مرة تأتيك الفكرة السلبية، توقف وردد الفكرة الايجابية بدلا منها مصحوبة بالجزء الكتابى. ستحتاج إلى ثلاثة أسابيع لكى تكسر عادة رديئة وتستبدلها بأخرى جيدة. فاستمر فى ترديد الفكرة السليمة إلى أن تتغلب على نمط التفكير السلبى.

إياك أن تستسلم للأكاذيب ولأفكار الإدانة. بل

ثابر، وبنعمة الله سوف تغلب. اصرخ إليه فى كل مرة تغلبك الأفكار السلبية، ثم ابدأ من جديد. هل لاحظت فى الكتاب المقدس كم مرة كان الله يكرر الفكرة السليمة عندما يحاول أن يشجع إنساناً؟ فى الأصحاح الأول من سفر يشوع، يقول ليشوع أربعة مرات «لا تخف». لماذا؟ لأن يشوع كان محتاجاً لمن يذكره دائماً بأفكار الله من جهته. لقد كان يستعد للدخول فى حرب وكان يحتاج إلى تشجيع. ولابد أنه كان يكرر لنفسه كلمات الرب هذه مرات ومرات.

أهم سبب للاكتئاب هو عندما نفكر أفكار تحقير وإدانة لأنفسنا. ولكسر حلقة الاكتئاب هذه، نحن نحتاج أن نتبع الخطوات التى سبق أن حددناها ثم أن نكره نمط تفكيرنا السلبى ونبدأ نفكر بأفكار الله من جهتنا.

هذا المبدأ ينطبق أيضاً على التصرفات التى تخرج من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ. فإذا اكتشفت أن هناك بعض الأنماط العملية فى حياتك التى تتصف بالسلبية أو الأنانية أو الدفاعية، هيا اكتبها الآن. وبجوار كل واحدة اكتب ما هو رد الفعل الذى يريدك الله أن تفعله إزاء المواقف التى تثيرك أو تهددك. وفى كل مرة تجد نفسك تتصرف بردود

أفعال سلبية أو أنانية، قف وارفع قلبك للرب، ثم اختر بإرادتك التصرف الذى يريدك الله أن تتصرفه.

اطلب من الله أن يعطيك القدرة على وضع هذه الأفكار والرغبات موضع التنفيذ. وإذا فشلت، اطلب منه الغفران ثم كرر المحاولة مرة ثانية. ولو عيرك الشيطان بأنك قد فشلت للمرة الثانية، وافقه على ذلك ولكن أخبره أنك لن تتوقف عند هذا الحد. واجه بشجاعة مسئوليتك عن الفشل، واطلب من الله الغفران والعون، ثم حاول مرة أخرى. واستمر فى المحاولة إلى أن تتكون فيك عادات جديدة. لقد قضيت سنوات عديدة لتكوين العادة الرديئة، فلا تقلق إذا احتجت إلى بضعة أسابيع أو شهور لاستبدالها بعادات جديدة من الله. ابدأ بعادة واحدة أو اثنتين، ثم انتقل إلى باقى العادات. فبينما نعمل نحن ما بوسعنا، سنجد الله يعمل لنا ما ليس بوسعنا.

الخطوة السابعة : أن نصبر

إن ٩٠٪ من النجاح هو أن نكمل العمل إلى نهايته. والكتاب المقدس يقول: «إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه» (٢تيموثاوس ١٢:٢). والصبر له وجهين: أولا، أن نصمم من جانبنا على عدم التراجع، أى نصمم على الاكمال. أما الوجه الآخر فهو خاص

بمعونة الله لنا. فإن الله يعطينا نعمة لكى نتمم الأشياء التى يدعونا هو لعملها. فإن أوامره لنا تتضمن فى طياتها وعداً لنا بالنصرة.

ربما تشعر أحياناً أنه ليس بإمكانك أن تصبر إلى النهاية. وقد يكون ذلك صحيحاً. ولكن عندما نصل إلى نهاية ما هو فى استطاعتنا، سنجد الله عندئذ يفعل ما هو ليس فى استطاعتنا. فالإيمان لا يكون إيماناً إلا إذا وثقنا فى الله بخصوص الأشياء غير المستطاعة، لأن الأشياء المستطاعة لا تتطلب إيماناً. لذلك إذا كنت تواجه فى حياتك أوضاعاً غير مستطاعة، سبح الله، لأنك بفضل هذه الأوضاع ستبدأ تتعلم أن تمارس إيمانك.

لماذا يعتبر الصبر هو إحدى الخطوات فى عملية الشفاء التى يجريها الله فى حياتنا؟ إن الاستسلام هو الذى يعرضنا لمشاعر المرارة والغضب والألم والرفض والشهوة وفقدان الثقة وكل المشاعر الأخرى التى تنغص حياتنا. ونحن أحياناً نريد أن الله يجرى معجزة وينهى كل مشاكلنا فى التو واللحظة. ولكن أبينا يريد أن يسير بنا عبر عملية بها يعدنا ويؤهلنا لكى نملك معه فى السماء. فلأنه يريد أن يشكلنا وينقينا، فإنه يسمح لنا بالمرور

بتجارب فيها نضطر إلى اتخاذ قرارات.

وكما يقول صديقى «جوى دوسون» «إن أهم ما فى الشيء هو نهايته». يقول الرسول بولس فى رسالته إلى كنيسة كورنثوس «ألستم تعلمون أن الذين يركضون فى الميدان جميعهم يركضون ولكن واحداً يأخذ الجعالة؟ هكذا اركضوا لكى تنالوا. وكل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شيء. أما أولئك فلكى يأخذوا اكليلا يفنى وأما نحن فاكليلا لا يفنى. إذاً أنا أركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين، هكذا أضارب كأنى لا أضرب الهواء، بل أقمع جسدى وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً» (١كورنثوس ٩:٢٤-٢٧).

سوف نواجه بعض الفشل فى طريقنا، ولكن إذ نعترف بخطايانا ونرجع عنها ونختار بالإيمان أن نبغض هذه الخطايا، فإن الله سيمنحنا غفرانه وسيعطينا بداية جديدة. **إنه إله البدايات الجديدة.** فنحن من جانبنا نتواضع ونتحول عن خطيتنا أو فشلنا، وهو من جانبه يغفر لنا ويعطينا بداية جديدة. إنه يسر بأن يفعل ذلك، لأنه هو أبونا وهو إله محبة.

إن الله يعمل فيك. والصراع الذى تمر فيه هو

جزء من عملية الشفاء. فأنت تتعلم منه دروساً ثمينة: تتعلم التواضع، والغفران، والشفقة، والصبر. هيا ثابر. فنحن فى حرب، ولكننا نحن الطرف الغالب. فإن يسوع هو المنتصر. «واثقاً بهذا عينه أن الذى ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح» (فيلبى ١:٦).

إن الله يبحث عن أناس مستعدين أن يتمموا مقاصده الأصلية من خلق البشرية. فهو يريد أن نكون فى صداقة معه. وهو لا يريد أن تكون له هذه العلاقة مع بعض الأفراد الأنانيين ولكن قصده هو أن يجمع فى عائلة واحدة جميع الذين يحبونه. لذلك فإنه أينما وجد أناساً يحبونه، فإنه يجذبهم معاً ليتمتعوا بالصداقة العميقة وبالرعاية والمعونة المتبادلة، ولكى يفرحوا معاً بالحب والغفران والشفاء الذى منحه الله لهم. هذه العائلات هى المفهوم الصحيح لما ينبغى أن تكون عليه الكنيسة.

عائلة الآب

بالإضافة إلى الخطوات التى يمكننا أن نأخذها كأفراد، فإن «عائلة الآب» هى إحدى طرق توصيل محبة الله وشفائه للنفوس الجريحة. فعندما نحب ونسامح ونقبل بعضنا بعضاً كإخوة وأخوات فى

المسيح، تفيض محبة الله من خلالنا لتشفى الآخرين. ومن خلال إخوتنا وأخواتنا فى عائلة الله، يوفر لنا الله نوعية الحب والقبول التى يمكن أن تحررنا من مخاوفنا وتصحح مفاهيمنا. فإننا نستطيع عندئذ أن نقبل الآخرين على الرغم من ضعفاتهم، وأن نتعامل معهم بدون خوف من رفض. سنقدر أن نسامح الآخرين حتى إذا أساءوا إلينا. وسنقدر أن نشعر بالرضى تجاه أنفسنا. كل هذا يتحقق بسبب نعمة الله. إن نعمته، أى محبته التى أعطاها لنا عن غير استحقاق، هى التى فعلت ذلك لنا. فإننا ليس فى مقدرتنا الذاتية أن نحب هذا الحب، ولكن الله يعطينا القدرة على الحب. وليس فى استطاعتنا الشخصية أن نشفى بعضنا البعض، ولكن من خلالنا يشفى الله الآخرين. كل مؤمن عنده هذه الموهبة. فإن كل واحد منا يمكنه أن يكون «واهب نعمة».

وهنا نحتاج أن نقدم تحذيراً صغيراً. إذا تعرضنا لجرح، يجب أن نلاحظ ألا نضع تركيزنا على الأشخاص كمصدر للشفاء فى حياتنا. فالناس لا يستطيعون أن يعطوا ما يستطيع الله وحده أن يعطيه. فإذا كنت تريد أن تأخذ الشفاء من الناس، على الأرجح سيخيب أملك. ركز نظرك على الآب

السماوى، فهو وحده يقدر أن يشفيك تماماً. وهو غالباً سيفعل ذلك من خلال الأشخاص، ولكنه هو المصدر. والناس هم مجرد قنوات.

إن الشفاء العاطفى عملية متعددة المراحل. وهى تحتاج دائماً إلى بعض الوقت. والسبب الرئيسى لذلك هو **أن أبينا السماوى لا يريد فقط أن يحررنا من ألم جروح الماضى** بل أن يأتى بنا إلى النضج سواء على المستوى الروحى أو العاطفى. إنه يحبنا لدرجة أنه مستعد أن يقضى شهوراً وسنيناً ليس فقط لكى يعطينا الشفاء بل أيضاً لكى يبنى شخصيتنا.

فبدون بناء الشخصية سنتعرض للجرح مرة ثانية، إذ سنقع فى أفعال أنانية وحمقاء تجرحنا أو تستفز الآخرين لكى يجرحوننا. ولكن لأن الله يحبنا، ولذلك فهو ينتظر علينا إلى أن نطلب بإرادتنا هذا النمو والنضج فى الشخصية، إنه ينتظرنا حتى نصبح مستعدين لنوال الشفاء. إن اتخاذنا مواقف سليمة مع الآخرين يطلق الشفاء فى حياتنا نحن.



غنوا بالتسبيح

والحمد للرب

لأنه صالح

لأن إلى الأبد

رحمته

عزرا ٣: ١١



الفصل الخامس

روح الإحباط

كانت أورشليم فى ذلك اليوم تموج بالفرح والإثارة. فبعد عدة سنوات من الحرب الأهلية، اتحدت الأمة أخيراً، وأيضاً تم الانتصار على الأعداء الجنوبيين. وأهم من هذا وذاك، فإنه بعد ٢٠ سنة طويلة من الجفاف الروحى، عادت العبادة مرة أخرى إلى العاصمة الجديدة لمملكة إسرائيل المتحدة. لقد انتهى ملك شاول بموته فى الحرب، والآن أصبح داود هو القائد. لقد انقشعت الظلمة أخيراً وبزغ فجر جديد.

وقد أعلن داود للأمة كلها أنه سوف يعيد تابوت عهد الرب إلى أورشليم. فاجتمع مئات الألوف من الشعب فى المدينة من أجل الاحتفال. وجاء ممثلون عن كل سبط وكل عشيرة، واحتشد الجمع يملأهم الفرح والتوقع.

وبلاشك أن داود فكر فى نفسه قائلاً: «إن الرب مسرور الآن، فها شعبه قد اتحد، وأصبح فى

استطاعتنا أخيراً أن نعبده من جديد. ومع انه من المؤسف حقاً أن شاول لم يكرم الرب بإعادة تابوت العهد، إلا أن الآن ليس وقت حزن وأسف، فيجب أن أفرح أنا أيضاً أمام الرب».

وكان «داود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات من خشب السرو بالعيدان وبالرباب وبالدفوف وبالجنوك والصنوج» (٢صموئيل ٦:٥).

وفجأة وقعت الكارثة. فلقد تعثرت الثيران التى تجر العربة، فمد «عزة» يده ليسند تابوت العهد، وفى الحال سقط على الأرض ميتاً. وذهل داود. وساد الصمت على الشعب بمجرد أن وصل إليهم الخبر.

وفى آن واحد انتابت داود أحاسيس مختلطة من الغضب والضيق والارتباك والخوف. وتساءل قائلا: «لماذا يارب؟ ولماذا الآن؟ ألم أكن صانعاً ما أمرتنى به؟ ولماذا عزة بالتحديد؟ إنه لمس فقط بيده تابوت العهد؟»

وعلى الرغم من ارتباك داود، إلا أنه عرف أنه لا يستطيع أن يتقدم أكثر بتابوت العهد إلا بعد أن يفهم أولا لماذا غضب الرب على تصرفاته. وساد

الإحباط على داود. آه لو استطاع فقط أن يفهم ... ما الذى فعله وأغضب الرب؟

ويمكنك أن تتخيل الحزن الذى خيم على داود وهو يسير وحيداً نحو منزله فى ذلك اليوم. لقد بدأت المناسبة باحتفال مبهج، وها هى نهايتها. ولا بد أن داود كان يصارع مع مشاعر الفشل الشخصى وإدانة النفس، وأيضاً مع مشاعر الغضب التى كان يشعر بها تجاه الله.

«فاغتاظ داود لأن الرب اقتحم عزة اقتحاماً، وسمى ذلك الموضع فارص عزة إلى هذا اليوم. وخاف داود من الرب فى ذلك اليوم وقال: كيف يأتى إلى تابوت الرب؟» (٢صم ٦:٨،٩).

كثيرون منا يمكنهم أن يتحدوا مع داود فى مشاعره هذه. فربما أننا، فى وقت ما، خطلونا بالإيمان خطوة معينة فلم نجد سوى الإحباط والألم. وظل السؤال يتردد طويلا فى أذهاننا: «لماذا؟»

ويمكن أيضاً أن يأتينا الإحباط من تصرفات الآخرين معنا. فربما أنهم خذلونا فى الوقت الذى فيه كنا أحوج ما نكون إليهم، وربما أنهم قد خيبوا ظننا فيهم.

ومهما كان سبب الإحباط، فإنه يفجر فى داخلنا مشاعر اليأس والمرارة والألم والغضب والخوف وفقدان الثقة. وآثار الإحباط يمكن أن تلازمنا لعدة شهور أو سنين وتعوق علاقتنا بالله أبينا. ولذلك فإنه من المهم جداً أن نتعلم كيف نتعامل مع الإحباط بطريقة سليمة، وكيف نفهم قصد الرب من سماحه لنا بهذه التجربة.

فى كتابه «استفد من أحزانك»، يقول «بول بيلهايمر» إن الإحباط يمكن أن يكون مصدر بركة كبيرة فى حياتنا لو تعلمنا أن نتعامل معه بالطريقة السليمة. فليس هناك شيئاً يستطيع أن يؤذينا نفسياً إلا إذا اتخذنا إزاءه ردود أفعال خاطئة. وذلك لأن الظروف التى سببت الاحباط ستنتهى، ولكن ردود أفعالنا تجاهها ستكون بمثابة اختيارات روحية اخترناها بإرادتنا وهذه يمكن أن تؤثر على حياتنا إلى الأبد.

طالما أن هناك بشر، لابد أن يكون هناك إحباط. لذلك فإننا لن نقدر أن نتغلب على الإحباط إلا إذا تعلمنا أن نحتمل ضعفات الناس. إننا نحتاج إلى الصبر والمرونة والفهم الصحيح لطرق الله. إننا نحتاج أن نتعلم كيف نتصرف فى كل موقف كما

يريدنا الله أن نتصرف. وهذا لا يعنى أننا سنصبح «الفريسة السهلة» بالنسبة للآخرين، بل أننا سنتصرف بطريقة مسيحية مهما كانت المعاملة.

فلنتعلم أن نأكل معاً فى سلام

إن تعلم المؤمنين كيف يحبون ويقبلون بعضهم البعض يشبه إلى حد كبير تعلم الإخوة والأخوات فى البيت الواحد كيف يأكلون طعامهم معاً فى سلام. أتذكر عندما كنت صغيراً أننى كنت دائماً أشاكس مع إخوتى على المائدة أثناء تناول الطعام، ولكن أبى لم يكن يحتمل هذا النقار وكان يصر على أنه ينبغى أن نأكل طعامنا معاً فى وفاق.

إن أحد مصادر الإحباط فى حياتنا هو أننا نتوقع أحياناً من بعضنا البعض أشياء غير واقعية. ولكن يجب علينا أن نعرف أن المؤمنين لا يتحولون فجأة إلى الكمال عندما يؤمنون. لذلك نحن نحتاج أن نتعلم كيف «نأكل معاً فى سلام».

عندما يصيبك الإحباط من تصرفات أحد إخوتك، لا تلغيه من حياتك ولا تقطع علاقتك به. فربما أن الله قد وضعه فى طريقك لكى يعلمك بعض الدروس الهامة. يقول داود: «قد علمت يارب أن

أحكامك عدل وبالحق أذللتنى» (مز ١١٩:٧٥).

فالشخص الذى يبدو فى نظرك أنه من الصعب التعامل معه، قد يكون مجرد أداة محبة يستخدمها الرب معك لتعليمك. ولو كانت عندنا محبة كما نظن، لما وجدنا أى صعوبة فى التعامل مع الناس الذين تصعب محبتهم. وإننى أعتقد أن الله يسمح، بل أيضاً يرتب لنا بعض التجارب فى حياتنا لكى يكشف لنا عن العيوب والضعفات الموجودة فينا حتى نقدر أن نتعامل معها.

التغلب على الكبرياء

اضطر داود أن يتعامل مع الإحباط عند موت عزة، وقد تطلب ذلك منه قدراً كبيراً من التواضع. كان من الممكن أن يتقسى قلبه بالكبرياء، وأن يلوم الله على ما حدث. ولكنه طلب الرب لكى يعرف ما هو الخطأ الذى ارتكبه وما هو الدرس الذى يريد الله أن يعلمه إياه. لقد تعلم داود أن يتواضع لكى يفهم قصد الرب فى هذه المواقف المأساوية.

إن التواضع لا يعنى فقط الإخلاص والصدق، بل أيضاً أن ننظر بمنظور الله. بعض الناس لا ينقصهم الإخلاص، ولكنهم لا يتقدمون للوقوف فى صف الله

ضد الخطية ولا يتخذون نفس موقفه من الخاطىء. إننا نحتاج أن نتخذ هذا الموقف إذا كنا نريد أن نتعلم من مواقف الإحباط التى تمر بنا فى حياتنا.

فإذا تعلمنا أن نسأل الله لماذا سمح لنا بموقف معين، وما هو الشيء الذى يريدنا أن نتعلمه من ذلك الموقف، فعندئذ ستتحول مصادر الإحباط إلى مصادر نمو عظيم لفهمنا الروحى. وعلى العكس، فإن الكبرياء تعتبر أكبر عقبة تعيقنا عن التعلم والاستفادة من الصعوبات التى تصادفنا. ومع أننا نظن فى وقت الأزمات أن أهم ما نحتاج إليه هو أن نجد التعاطف والمشاركة الوجدانية، إلا أننى أعتقد أن احتياجنا الأكبر فى هذه الأوقات يكون هو أن نرفض الكبرياء. فإن التغلب على الكبرياء هو المفتاح إلى النصرة وإلى الفهم. تأمل الأعراض التالية ولاحظ كيف أنها يمكن أن تعوقنا عن التصرف بطريقة سليمة:

الكبرياء ترى عيوب الآخرين وأخطاءهم ولكنها ترفض أن تتحد معهم فى ضعفاتهم. لذلك إذا أخطأ أحد علينا أن نقول: «نعم، أنا أيضاً من الممكن أن أقع فى نفس الخطأ» أو «لولا نعمة الله لكنت قد فعلت أنا أيضاً هكذا».

الكبرياء ترفض أن تقر بالخطأ الشخصى أو بالمسئولية الشخصية. وإذا فعلت فإنها لابد أن تجد لها الأعذار والتبريرات الكافية. وهى لا تشعر أبداً بالأسف من أجل الخطأ.

الكبرياء تلوم الآخرين، وتنتقدهم وتبرز نقاط ضعفهم.

الكبرياء تنشىء قساوة، وعجرفة، واعتداداً بالذات.

الكبرياء يهمها القبول فى نظر الناس أكثر من القبول فى نظر الله وبحسب مقاييسه هو.

الكبرياء يهمها كسب جولات المناقشة أكثر من كسب الناس.

الكبرياء لا تقول أبداً: «قد أخطأت. هذه غلطتى. أرجوك أن تسامحنى».

الكبرياء تركز على الأخذ وليس على العطاء. إنها تجعل الإنسان يركز على الأشياء التى حرم منها وليس على الأشياء التى أخذها، وتجعله يشتهى الأمور الماضية أو المستقبلية أما الحاضر فإنه لا يشعر بالرضى عنه أبداً.

الكبرياء تسبب الانقسامات. فهى تقول أن «مجموعتى» أو «طائفتى» أو «كنيستى» عندها من الحق ما يفوق الآخرين.

الكبرياء تجعل الإنسان يحكم على المواقف بحسب نظرة الناس وليس بحسب نظرة الله. فالكبرياء لا تنظر بمنظور الله.

الكبرياء نمامة وهدامة وتسر بهدم سمعة الآخرين وبإشاعة أخبار الفشل والخطية.

الكبرياء تلقى اللوم على الله وعلى الآخرين عندما تسوء الأحوال.

الكبرياء تبرر مشاعر الحقد والمرارة.

الكبرياء تقود إلى المزيد والمزيد من الشفقة على الذات.

الكبرياء تقول أن الإنسان يمكنه الوصول إلى مستوى أو عمق روحى معين فيه يكون قد تخلص من الكبرياء نهائياً. فهى تضع أمانها فى البر الذاتى وليس فى صليب يسوع المسيح.

فى أشد مواقف حياتى إيلاماً وإحباطاً تعلمت ما هى الكبرياء. فلقد سمعت كثيراً عن الانشقاقات فى الكنيسة وعن الصراعات العنيفة بين الناس، ولكن آخر ما كنت أتخيله هو أن يحدث ذلك معى أنا. وقد كنا كمؤمنين نركز جداً على علاقاتنا وعلى ارتباطنا ببعض كعائلة واحدة، وكنت فخوراً جداً بذلك. وعندما كنت أنظر إلى أعضاء الكنائس الأخرى كنت

أشعر بالغثيان بسبب سطحيتهم وبسبب ضعف العلاقات بينهم، مع أننى فى ذلك الوقت لم أكن أقر بهذا. وكنت أنظر بعين الاحتقار إلى بعض النوعيات من المؤمنين بسبب فتورهم فى التبشير أو بسبب عدم تطبيقهم لمبدأ التلمذة الكاملة.

وكنت دائماً أعلم عن أهمية الحياة التى تليق بملكوت الله. كنت أشعر تماماً أن الكنيسة هى مجتمع المؤمنين، وأنه من المهم جداً أن تكون العلاقات بين المؤمنين من النوع المثالى. ولا زلت أنادى بهذا التعليم، ولكن فى ذلك الوقت - منذ عشر سنوات - كنت أركز على هذا التعليم إلى الدرجة أن محور حياتى لم يعد هو المسيح بل المؤمنين الآخرين.

لقد كنا مجتمعاً معتداً بذاته. كن نرى أننا متميزون عن الآخرين، ومن هنا بدأت مشاكلنا. فلقد وضعنا لأنفسنا مقاييس عالية جداً، وهذه المقاييس لم تكن فقط مستحيلة على باقى المؤمنين بل أيضاً علينا نحن.

وبالفعل فلقد انقلبنا على بعضنا البعض. وكان يوم رأس السنة سنة ١٩٧٥ هو أتعس يوم فى حياتى. فلقد وجدت نفسى فى ذلك اليوم جالساً فى فراشى متأملا فى أحلامى المنهارة. كنت أحلم بمجتمع

من المؤمنين تسوده المحبة ويعيشون انجيلهم بطريقة فعالة قادرة على هز العالم، ولكننى أهملت عنصر الضعف البشرى فى معادلة النجاح التى وضعتها لنفسى. وكان سقوطنا بشعاً، وكانت خطيتى وخطية الآخرين مؤلمة للغاية حتى أننى يئست من الحياة نفسها.

ولا أستطيع أن أصف حجم الألم. فلقد شعرت بالتحطيم والرفض والخيانة من نفس الناس الذين كنت أعتز بهم قبلا. وتحولت جنتنا الصغيرة التى يرفرف عليها الحب والشفاء إلى جحيم من العلاقات الممزقة. واضطررت أن أواجه الحقيقة المرة للحالة التى وصلنا إليه عندما لم تعد نعمة الله هى التى تحكم حياتنا.

والآن أتذكر هذه الأيام السوداء وأشكر الله جداً. فلقد كانت هذه الفترة أكثر فترة مؤلمة فى حياتى، وفى نفس الوقت أفضلها. فلقد وضح لى الرب فى هذه الأيام أموراً عجيبة مختصة بحياتى وبكبريائى وبإحساسى العميق بعدم الأمان. وفى المقابل أرانى أيضاً الكثير عن رحمته ومحبته وأمانته أكثر مما كنت أتخيل بكثير.

ومن خلال الألم الذى اختبرته فى هذه الفترة، والشفاء الذى نلته عندما تواضعت أمام الله وأمام الآخرين، تعلمت العديد من الدروس. وعندما حدث

الاختراق أخيراً فى حياتى وكشف لى الله عن جذور تصرفاتى الخاطئة تجاه الآخرين، بكيت عندما سمعته يهمس لى قائلا: «إننى أسامحك، وأرد لك كل ما فقدته».

هذه التجربة أعطتنى إدراكاً أعمق لخطورة الكبرياء، وإحساساً أقوى بالذين قد اختبروا مشاعر الألم والإحباط فى علاقتهم بالآخرين.

لقد تواضع داود مراراً وتكراراً. يقول الكتاب المقدس عنه أنه «كان رجلا بحسب قلب الله». وفى مزمور ٥١ يقول داود «ذبائح الله هى روح منكسرة، القلب المنكسر والمنسحق ياالله لا تحتقره» (عدد ١٧).

ولم يكن الانكسار فى نظر داود يعنى اليأس أو الفشل أو المرارة، بل كان يعنى التواضع أى عكس الكبرياء. ولهذا السبب كان داود يتعلم من كل موقف احباط يمر به فى حياته، حتى أن أجمل مزامير التسبيح فاضت من أقسى مواقف الإحباط التى صادفته.

إذا كنا نريد أن نتعلم كيف نثق فى الله ونتعامل معه كأب لنا، مثلما فعل داود، فلا بد أن نتواضع أمامه. فعندما تسوء الأحوال، إما أن نبحث عن

تفسيرات من الله، وإما أن نتقسى ونتكبر، ليس هناك حلاً وسطاً. ولا يمكن أن نحصل على النتائج التى يريدها الله لنا إذا استخدمنا مزيجاً من التواضع والكبرياء. وحتى إذا لم نرتكب أى خطأ فى هذا الأمر، فيجب أن نتعلم كيف نسامح ونبارك أعداءنا، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت لنا القلوب المتواضعة.

وفيما يلى بعض الأسئلة التى اعتدت أن أسألها لنفسى والتى ثبتت قيمتها العظيمة فى التعامل مع موضوع الإحباط:

١- يارب، ماذا تريد أن تعلمنى من هذا الموقف؟ ما هو التصرف الذى تريدنى أن أفعله؟ ماذا ينبغى أن يكون رد فعلى؟ ما هى المبادىء الكتابية التى خالفتها فى هذا الموقف؟

٢- هل هناك أى عصيان من جانبى بخصوص التصرف أو التوقيت أو الأشخاص أو الوسيلة؟

٣- يارب، هل هناك شخص أحتاج أن أسامحه فى هذا الموقف؟

٤- هل أحتاج أن أطلب المشورة من أحد الأشخاص الأتقياء بخصوص هذا الأمر؟ لو كان هكذا فأرجوك أن تعطيه إدراكاً بخصوص حياتى واحتياجاتى وتصرفاتى لكى يساعدنى على تعلم ما تريد أن

تعلمنى.

٥- يارب، هل أنا أروحن هذا الموقف أكثر من اللادرم فى حين أننى أحتاج إلى فهم بعض الدروس العملية؟

٦- يارب، ما هى التعديلات والتغييرات التى أحتاج أن أعملها؟ ساعدنى لكى أتخذ الخطوات الصحيحة فى هذا الأمر.

٧- هل هناك شخص كان ينبغى أن أهتم به الآن بدلا من أن أهتم بنفسى؟

أحياناً يكون من الصعب علينا أن نتعلم من دروس الحياة. فلولا وجود الأباء الأتقياء الذين يقدمون لنا التربية الحكيمة والمحبة، لوجدنا صعوبة بالغة فى تطبيق الدروس التى نتعلمها فى مواقف الإحباط. فإننا عندئذ سنشعر بالخوف أو بالرفض أو بأن هناك من يسيطر علينا بقبضة من حديد بدلا من أن نتعلم الدروس التى يريد الله من خلالها أن يساعدنا على النمو.

عندما جثا يسوع وحيداً لكى يتحدث مع الآب فى تلك الليلة الرهيبة فى بستان جثسيمانى، كان قلبه مثقلا بالحزن. لقد كان يواجه حكم الإعدام. كان الآب قد طلب منه شيئاً صعباً، ولكنه لم يكن مرغماً على عمل ما لا يريده. لقد قبل أن يتمم خطة أبيه لأنه

كان يعرفه ويثق به.

قال المسيح: «لتكن لا إرادتى بل إرادتك». فهو أطاع الله طاعة كاملة لأنه كان يعرف قلب الله. فلم تكن طاعته طاعة اضطرارية لمطالب أب قاسى، بل طاعة ثقة فى أب محب.

إن رد فعلنا إزاء مواقف الإحباط، وتجاوبنا مع الأشياء التى يريد الله أن يصنعها فى حياتنا، هى أفضل مؤشر به نعرف مدى ثقتنا فى محبة الله ومدى قربنا من قلبه الأبوى.

المسيح

بذل نفسه لأجلنا لكي

يفدينا من كل إثم

ويطهر لنفسه شعباً خاصاً

غيوراً في أعمال حسنة

تيطس ٢: ١٤



الفصل السادس

قلب الله المنكسر

بعد أسبوع طويل من إلقاء المحاضرات وتقديم المشورة فى أحد المؤتمرات فى النرويج، كنت أحتاج إلى الاستجمام. فمع أننى أحب عملى وأحب الناس إلا أننى بعد ستة أيام من العمل المتواصل لمدة ١٨ ساعة يومياً كنت فى مسيس الحاجة إلى الاختلاء بنفسى قليلا.

وأثناء هبوطى من التاكسى أمام مطار أوسلو الدولى، رفعت صلاة صامتة نحو السماء. كانت طلبتى بسيطة للغاية: أريد مقعداً فى الطائرة به مكان فسيح يمكننى أن أمدد فيه ساقى الطويلتين لكى أقدر أن أستريح خلال رحلة العودة إلى أمستردام.

وسرت فى الممر الأوسط فى الطائرة، منحنياً قليلا لئلا يصطدم رأسى بالسقف، ووجدت صفاً من المقاعد الخالية. فابتسمت لنفسى وقلت «حقاً كان الله يعرف كم أنا محتاج إلى الراحة».

وبمجرد أن وضعت حقيبتى تحت المقعد أمامى، اقترب منى رجل أشعث الشعر وحيانى بطريقة صاخبة قائلا: «هاى! هل أنت أمريكى؟». أجبته بصوت ضعيف: «نعم». وقد كنت جالساً فى المقعد الملاصق للممر ظناً منى أنه سيكون من الصعب على أى شخص أن يجلس بجوارى لأنه سيضطر أن يخطو فوق ساقى الطويلتين. فجلس الرجل فى مقعد خلفى مباشرة، ولكننى لم أعره أى انتباه وبدأت أقرأ.

وبعد بضعة دقائق وجدته يطل من فوق كتفى قائلا: «ما هذا الذى تقرأه؟»

أجبته بشىء من نفاذ الصبر: «إننى أقرأ كتابى المقدس». وتعجبت كيف أنه لم يلاحظ أننى محتاج إلى بعض الراحة. فتمددت فى مقعدى، ولكن لم تمر سوى دقائق قليلة أخرى إلا ووجدت نفس العينين الواسعتين تحملقان فى، وإذا بالرجل يسألنى: «ما هو عملك؟».

ولأننى لم أكن راغباً فى الدخول فى مناقشة طويلة، أجبته باختصار: «أننى أعمل فى المجال الاجتماعى»، على أمل ألا تثير هذه الإجابه اهتمامه. ولم أجرؤ أن أخبره أن عملى هو مساعدة الناس

المحتاجين فى مدينة أمستردام، حتى لا أتعرض للمزيد من الأسئلة.

وفى الحال عبر فوق ساقى المفرودتين قائلا: «هل يزعجك لو جلست بجوارك؟». لقد كان من الواضح أنه لم يلاحظ محاولاتى المتكررة لتجنبه. كانت رائحة الخمور تفيح منه، وكان أثناء الكلام يرسل رذاذاً خفيفاً يغطى وجهى كله. فشعرت بالسخط الشديد بسبب عدم كياسته وعدم حساسيته. فلقد أفسد لى كل خطتى فى قضاء صباح هادىء. فزمجرت فى داخلى قائلا: «يارب، أرجوك أن تساعدنى».

وسارت المناقشة بطيئة فى البداية، فلقد سألنى بعض الأسئلة عن عملى فى أمستردام، وبدأت أتساءل لماذا يريد هذا الرجل بكل هذا الإصرار أن يتحدث معى؟ ولكن لم يمض وقت طويل إلا وكنت قد اكتشفت أننى أنا المنعدم الإحساس وليس هو.

قال لى: «لقد كانت زوجتى مثلك، كانت تصلى مع الأولاد، وترنم لهم، وتأخذهم إلى الكنيسة» وامتلأت عيناه بالدموع وهو يستطرد قائلا: «لقد كانت حقاً الصديق الوحيد لى فى هذا العالم»

سألته: «ولماذا تقول: كانت؟»

أجابنى، وقد بدأت الدموع تسيل بالفعل على خديه: «لأنها رحلت منذ ثلاثة شهور. لقد ماتت أثناء ولادة طفلنا الخامس». وأضاف شاهقاً: «لماذا أخذ إلهك زوجتى منى؟ لقد كانت زوجة صالحة. لماذا لم يأخذنى أنا؟ لماذا هى؟ والآن تقول الدولة أننى لست مؤهلا لرعاية أولادى فأخذوهم هم أيضاً».

فأمسكت يده وبكينا معاً. آه، كم كنت أنانياً. لقد فكرت فقط فى حاجتى إلى بعض الراحة، فى حين أن هذا الرجل كان فى أشد الحاجة إلى من يقف بجانبه.

وأخذ يحكى لى كيف أنه بعد وفاة زوجته جاءه مشرف اجتماعى من قبل الدولة ونصحه بأن يضع الأطفال فى رعاية الدولة. ثم كيف أنه من فرط الحزن لم يستطع أن يستمر فى عمله، ففقد عمله أيضاً. وها هو خلال أسابيع قليلة، قد فقد زوجته وأولاده وعمله. وهو لا يتخيل كيف سيقضى أعياد الميلاد وحده فى المنزل، ولذلك فهو يحاول أن يهرب من أحزانه.

لقد كان من الصعب مواساته. فلقد نشأ مع أربعة أزواج لأمه ولم يعرف أبداً من هو أبوه الحقيقى. وجميعهم كانوا قساة. وعندما كلمته عن الله، هاج قائلا: «الله؟ أعتقد أنه لو كان يوجد الله فلا بد أنه شخص فى منتهى القسوة! كيف يمكن لإله محب أن يفعل معى هذا؟».

وأثناء حديثى مع هذا الرجل المجروح المتألم، تذكرت مرة أخرى أن أناساً كثيرين فى عالمنا هذا لا يعرفون الله كأب محب. وإذا كلمتهم عن أبوة الله فإنها لا تثير فيهم سوى مشاعر الألم والغضب. فما لم تتعاطف معهم فى آلامهم يكون كلامك عن قلب الله الأبوى هو نوع من القسوة.

وقد وجدت أن الطريقة الوحيدة التى بها أستطيع مواساة هذا الإنسان خلال الرحلة من أوسلو إلى أمستردام هى أن أكون أنا نفسى حب الله له. ولم أحاول أن أعطيه إجابات نظرية، ولكننى فقط جعلته يعبر عن غضبه ثم سكبت على جروحه زيت المحبة والتعاطف. لقد كان يريد أن يؤمن بالله، ولكنه فى قرارة نفسه كان يشعر بالظلم. لقد كان محتاجاً إلى شخص يقول له أنه من حقه أن يغضب وأن الله أيضاً غاضب بسبب الظلم الواقع عليه. وبعد أن استمعت

إليه واعتنيت به وبكيت معه، أصبح عنده الاستعداد أن يسمعنى وأنا أقول له أن الله متألم أكثر منه بسبب ما حدث لزوجته ولعائلته.

لم يخبره أحد من قبل أن الله أيضاً يعرف ألم القلب المكسور.

فأصغى بانتباه وأنا أشرح له كيف أن خليقة الله، التى أصبحت ممتلئة بالخطية والأنانية، لم تكن هكذا عندما خلقها الله. فسألنى السؤال الذى نسأله جميعاً: «لماذا؟ لماذا خلق الله شيئاً يمكن أن يسقط وأن يفسد؟ إذا كان أباً محباً، فلماذا يسمح بكل هذا الألم؟

فأجبته ببعض الإجابات التى اقتنعت أنا شخصياً بها من قبل.

إن أناساً كثيرين لا يتخيلون أنه يمكن أن يكون هناك إله محب وفى نفس الوقت يسمح بالألم. مع أنه لو لم يكن هناك إله لما كان للألم معنى. لو لم يكن هناك إله، لكان الإنسان هو ناتج مركب للزمن والصدفة، أو مجرد نتيجة لعملية التطور. وفى هذه الحالة سيكون الألم مجرد مشكلة فيزيائية كيميائية. فلو لم يكن هناك إله لما كانت هناك قواعد أدبية وبالتالى لا يكون هناك مقياس نحدد على أساسه أنه

من الخطأ أن يتألم الإنسان. فالناس الذين ينكرون وجود الله ينكرون معنى الحياة نفسها وبالتالى ينكرون القاعدة التى يقولون على أساسها أنه لا ينبغى للإنسان أن يتألم. بدون الله لا يمكنهم أن يسألوا: «لماذا يتألم البرىء؟» لأنه لن يكون هناك معنى للبراءة، فإن وجود البراءة يدل على وجود الذنب، ووجود الذنب يدل على وجود الخطأ المطلق.

أنا أؤمن أن الألم هو شىء خطأ، وحقيقة وجود الله تؤكد لى ذلك. ولكن هذا التأكيد يقود إلى موضوع آخر مهم: ما هو شعور الله تجاه الألم والشر الذى يحدث فى خليقته؟ يقول الكتاب المقدس أن ذلك يسبب له حزناً شديداً.

«ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هى شريرة كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض، وتأسف فى قلبه» (تكوين ٦:٥،٦).

من السهل علينا أن نسأل أسئلة بخصوص عدالة الله، ولكن لو عشنا كأولاد له وعرفنا قلبه الأبوى لشعرنا بأننا نحتاج أن نفحص رد فعلنا نحن تجاه الشر والألم. هل نحن نتأثر بنفس الدرجة التى يتأثر بها الله إزاء الشر الحادث فى العالم وإزاء الشر

الموجود فى حياتنا الشخصية؟ هل نحن نشاركه فى حزن قلبه على الخطية وعلى الدمار الذى تجلبه على كل ما يقترب منها؟

أنا أؤمن أننا لن نقدر أبداً أن نختبر الشفاء الكامل لعواطفنا الجريحة إلا إذا شاركنا الله فى حزنه على الخطية وعلى الأنانية. يعلمنا الكتاب المقدس أن هناك فرقاً بين حزن العالم على الخطية والحزن الذى بحسب مشيئة الله. فالرسول بولس يقول لمؤمنى كورنثوس: «الآن أنا أفرح لا لأنكم حزنتم بل لأنكم حزنتم للتوبة، لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله لكى لا تتخسروا منا فى شىء. لأن الحزن الذى بحسب مشيئة الله ينشىء توبة لخلاص بلا ندامة، وأما حزن العالم فينشىء موتاً» (٢كورنثوس ٧:٩،١٠).

فالتوبة لا تعنى مجرد الحزن، بل الحزن الذى يؤدى إلى ترك الخطية. فالحزن الذى بحسب مشيئة الله لا يجعلنا فقط نعترف بخطايانا، لأننا لو اعترفنا بخطيتنا وفى نفس الوقت لم نكف عن ممارستها، فهذا معناه أننا لم نختبر بعد الحزن الذى بحسب مشيئة الله. وكذلك فإن التوبة لا تعنى مجرد التأسف على الشىء الذى فعلناه. فإننا أحياناً نتأسف إذا انكشف أمرنا، أو إذا اضطررنا للتوقف عن الخطية،

ولكن الحزن الذى بحسب مشيئة الله لا يعتمد على مشاعرنا ولا على دوافعنا الأنانية. الحزن الذى بحسب مشيئة الله مؤسس على أن الخطية مؤلمة لله وللناس. هذا الحزن يغير موقفنا من الخطية نفسها، فإننا نبدأ نكره الخطية ونحب الصلاح.

والحزن الذى بحسب مشيئة الله ينشىء فينا احتراماً جديداً لله ولوصاياه. فإنك عندما نفكر فى وصايا الله نجدها معقولة جداً: لا تقتل، لا تسرق، لا تكذب، لا تأخذ زوجة شخص آخر، وهكذا. وعندما نطيع هذه الوصايا فهذا لا يعنى سوى أننا نعيش بالطريقة التى قصدها الله لنا يوم أن خلقنا. فالسيارات خلقت لتسير على الأرض وليس على البحر أو على الصخور أو على سفوح الجبال. وهى مصممة بحيث تعمل بالبنزين وليس بالماء أو بالكوكاكولا. هكذا الحال معنا. فلقد خلقنا الله لنحب بعضنا بعضاً، ولكى نكون لطفاء ومتسامحين وصادقين وغير أنانيين ومخلصين لأزواجنا وزوجاتنا، ولكى نعرفه ونعيش فى شركة معه. فإن معنى وجودنا نفسه يكمن فى محبتنا لله وطاعتنا له. عندما نحب الله فإن الرغبة فى طاعة وصاياه تأتى تلقائياً. فإننا لا ينبغى أن نجاهد فى حفظ وصايا الله لمجرد أن نذهب إلى

السماء أو لكى نهرب من الجحيم أو لنكون أناساً محترمين، بل يجب أن نطيع وصايا الله لأن الله يحبنا ونحن نريد أن نتجاوب مع محبته بإرضائه فى كلماتنا وأفعالنا. فالطاعة يجب أن تكون رد فعل محبة تجاه الله.

فى أمستردام توجد قوانين تمنع الرجل من ضرب زوجته. وأنا لا أضرب زوجتى، ولست محتاجاً إلى رجل شرطة يسير ورائى مصوباً بندقيته إلى ظهرى قائلا: «ها أنا خلفك مباشرة، فالأفضل لك ألا تضرب زوجتك». كلا، فإننى لا أضرب زوجتى ليس بدافع الخوف من القانون بل بدافع الحب.

إن اشتراكنا مع الله فى قلبه المكسور يجعلنا نكره ما يكرهه هو بدون أن نشعر أننا قد فقدنا هويتنا. أناس كثيرون يكرهون الله بسبب الدين. فإنهم ربطوا بينه وبين الرياء والأخطاء التى يرونها فى الكنائس، ولذلك فإنهم رفضوه هو أيضاً.

إن تسعين فى المائة من الملحدين قد رفضوا الله بسبب الصورة الخاطئة التى أخذوها عنه من الكنائس أو من بعض التجارب الشخصية. وأعتقد أن أفضل مثال على ذلك هم الأستراليون. فإن الملحدين منهم لم يرفضوا الله بل رفضوا الصورة الكاذبة التى قدمت

عنه، وهذه الصورة أنا أيضاً أرفضها.

قال مرة صديقى الأسترالى «جون سميث» فى إحدى المحاضرات فى جامعة الإرسالية، أنه توجد ثلاثة صور خاطئة عن الله رفضها الأستراليون وظنوا أنهم رفضوا الله:

١- إله اللامبالاة

٢- إله الامتيازات والتوسعات

٣- إله الحكم العشوائى

فبينما هاجر المهاجرون الأوائل إلى أمريكا بسبب معتقداتهم، فإن الأستراليين الأوائل تم نفيهم من انجلترا إلى أستراليا كنوع من العقاب بسبب جرائم ارتكبوها كانت أحياناً لا تزيد عن سرقة رغيف خبز. فكانت أستراليا فى نظرهم مثل منفى ضخم، ورجال الدين هم السجانون. فتخيل ما هى الصورة التى أخذها الناس عن الله عندما يذهبون إلى السجن فى أستراليا ويكون الشخص الذى حكم عليهم هو القس أو رجل الدين. وكما يقول «جون سميث»: «إن تاريخ أستراليا يشجع الكثيرون على عدم الإيمان بالله، مع أنه كان ينبغى أن يشجعهم على عدم الإيمان بالإنسان».

إذا كنت قد صدمت بالرياء الحادث فى الكنيسة، أو إذا كنت قد رفضت إله الأحكام العشوائية الذى يضع للناس قوانين غير مستطاعة ثم يرسلهم إلى جهنم لأنهم لم يحفظوها، أو إذا كنت تشعر بالغضب بسبب الظلم والفقر، أو إذا وجدت أن الإله الذى تقدمه لك الكنيسة هو إله اللامبالاة، فاعلم أنك تستطيع أن تبدأ من جديد بدون أن تفقد هويتك. فأنت لم ترفض إله الكتاب المقدس، ولم ترفض يسوع المسيح الحقيقى.

إن الإله الذى أظهر نفسه في شخص يسوع المسيح هو إله يبغض الرياء والظلم. والفرق بيننا وبين الله ليس فى بغضته للظلم، بل فى أنه عادل عدلا مطلقاً فى حين أننا لسنا هكذا.

والناس أمثال الرجل الذى قابلته فى الطائرة يغضبون من الله لأنهم يتألمون إما من الإحباط الشخصى أو من رد الفعل تجاه الظلم الحادث فى العالم حولهم. ولكن الإنسان الصادق مع نفسه لا يمكن أن يستمر فى إلقاء اللوم على الله لأنه لابد أنه فى لحظة ما سيكتشف خطأه الشخصى.

إننا جميعاً قد ارتكبنا، إلى حد ما، خطايا أكبر المجرمين فى التاريخ. ونحن لا نحب أن ننظر

لأنفسنا بهذه الطريقة، ولكننا بالقول أو الفكر (وأحياناً بالفعل) نفعل نفس التصرفات التى ندينها فى الآخرين. نحن ندين هتلر بلا رحمة، ولكن هل نحن ندين الكراهية الموجودة فى قلوبنا بنفس الطريقة؟ ربما نحن لا نكره شعب معين كما كان يفعل هتلر، ولكن هل نحن نكره أو نحتقر شخص ما، سواء جار أو قريب أو زميل فى العمل؟ فإذا كان قد كرهنا أى إنسان فى وقت ما فهذا معناه أننا قد اقترفنا نفس ذنب هتلر.

الإنسان المتكبر لا يكف عن إلقاء اللوم على الله لأنه يرفض أن يعترف بذنبه الشخصى. فإذا كنا نريد أن نناقش مشكلة الشر الموجود فى العالم، يجب أن نبدأ بأنفسنا. أما إذا رفضنا أن نتحمل المسئولية، فإننا لابد أن نرفض تفسير الله لقضية الخير والشر، وفى النهاية سنصل إلى فلسفة تعفينا من الاعتراف بحقه فى السيادة على حياتنا. وإذا كنا نؤمن بالله وفى نفس الوقت نلومه على الظلم الحادث فى العالم، فإننا لم نعرف بعد كيف أن أنانيتنا كانت هى السبب فى كسر قلبه.

إن خطايانا قد كسرت قلب الله. ومع ذلك فإن الله لم يكتف بالحزن على الخطية، بل صنع شيئاً

لعلاجها. لقد قدم ابنه الوحيد كذبيحة للتكفير عن خطايا العالم. كنا نستحق أن ننال عقابنا لأننا كسرنا قوانين الله، ولكن الله أرسل يسوع لكى يأخذ عقابنا.

إننا كثيراً ما نتألم بسبب جراحنا العاطفية أو بسبب صغر النفس، وهذا يجعلنا نتحول إلى أناس منحصرين فى ذواتهم. فإننا نقضى الساعات الطويلة نفكر فى احتياجاتنا الشخصية أو نندب حظنا التعيس. ولهذا السبب فإننا نحتاج الآن أن نواجه بشىء من الوعى خطورة هذا الأسلوب فى التفكير فى الذات، فنرجع عنه ونختار بإرادتنا أن نجعل الله هو محور حياتنا. فبدلا من أن نهتم بآلامنا الشخصية، ينبغى أن نهتم أكثر بالألم الذى يشعر به الله فى قلبه بسبب أنانية الإنسان. فعندما نعطى لله الأولوية فى حياتنا، سنقدر أن نتحرر من الخوف والإشفاق على الذات والاستعباد للذات. إن الله الآب يشتاق أن يعطينا حبه الأبوى وأن يشفى جروحنا، ولكنه لن يقدر أن يفعل ذلك إلا إذا أعطيناه السيطرة الكاملة على حياتنا.

التوبة والقبول

إذا أراد أولادى أن يتمتعوا بمحبتى مرة أخرى بعد ارتكابهم لخطأ ما، فإنهم لا يستطيعون أن يفعلوا

ذلك بأن يتجاهلوا أخطائهم وبأن يأخذوا مسامحتى كأمر مفروغ منه. فلأننى أحبهم، يجب أولا أن أتأكد أن توبتهم توبة حقيقية. ومع أننى أشتاق أن أحيطهم بذراعى وأحتضنهم، إلا أن محبتى لهم تمنعنى من أن أفعل ذلك إلا بعد أن أقودهم إلى توبة حقيقية. فلو كانوا قد أظهروا عصياناً أو أنانية، يجب أن أتمهل إلى أن يفهموا الخطأ الذى فعلوه ولماذا هو خطأ، ثم أساعدهم على اتخاذ القرار السليم بخصوصه. وعندما يعترفون بخطأهم ويبدون ندماً حقيقياً فعندئذ سيقدرون أن يقبلوا محبتى. ومحبتى موجودة دائماً، ولكننى أعرف أنه عندما يكون لديهم شعور بالذنب بسبب شىء خاطىء فعلوه، فإنهم لن يقدروا أن يتمتعوا بمحبتى لهم.

إننا كثيراً ما نخطىء عندما تؤذى مشاعرنا، ولكن هذا لا يبررنا. فإن تحليل ردود أفعالنا فى إطار علم النفس العقلانى لا يحدث نمواً فى حياتنا. فحتى إذا كان الآخرون قد أساءوا إلينا، فيجب أن نكون مسئولين عن ردود أفعالنا تجاههم. ولكى نقبل حب الآب لنا نحن نحتاج أن نتحمل مسئوليتنا عن الأشياء التى فعلناها أو قلناها أو فكرنا فيها، وأن نطلب الغفران من الله. فعندما نعرف أننا قد أخطأنا،

يجب علينا أن نعطى لله الفرصة لكى يعمل عمله فى قلوبنا. فلا ينبغى أن نبرر أخطاءنا مهما كانت صغيرة فى نظرنا.

إن قيامنا بدورنا بهذه الطريقة يؤهلنا لتلقى محبة الآب كاملة. نحن لا نستطيع أن نشفى أنفسنا، ولكننا نستطيع أن نعترف بخطأنا فى موقف ما وهكذا نتحرر من التركيز على لوم الآخرين وعلى تبرير أنفسنا أو الاشفاق عليها. وعندما نفعل ذلك فإن تركيزنا يتحول تلقائياً نحو الله، ومن هنا يبدأ كل شىء يأخذ مساره الصحيح.

قام ولد صغير بقطع صورة من مجلة مرسوم فيها خريطة العالم، ثم قطعها إلى قطع صغيرة وحاول أن يجمعها معاً مرة أخرى. وبعد قليل ذهب إلى أبيه باكياً لأنه عجز عن تجميع صورة العالم. وكان الأب يراقب ابنه من البداية وكان يعرف أنه على الوجه الآخر من الصفحة المرسوم عليها صورة العالم، كانت هناك صورة يسوع. وهكذا ساعد ابنه على تجميع صورة يسوع وبعد ذلك قلبوا بعناية كل قطعة بدون أن يغيروا مكانها فوجدوا صورة العالم صحيحة. وهكذا شرح الأب لابنه المندهش كيف أنه عندما تكون صورة يسوع فى مكانها الصحيح فإن صورة العالم تصبح هى أيضاً فى وضعها الصحيح.



الفصل السابع

آب منتظر

لقد لوث «ساوات» سمعة عائلته وجلب العار على اسم أبيه. فلقد جاء إلى بانجكوك هرباً من رتابة الحياة فى الريف. فوجد الإثارة التى كان يبحث عنها، وفى نفس الوقت نجح فى حياة الدناءة ووجد شعبية كبيرة له.

عند وصوله إلى بانجكوك، نزل «ساوات» فى فندق يختلف عن كل الفنادق الأخرى. ففى كل حجرة توجد نافذة تطل على البهو الرئيسى، وفى كل غرفة تجلس فتاة. الكبيرات منهن كن يبتسمن ويضحكن، أما الصغيرات اللواتى كان عمرهن لا يزيد عن ١٢ أو ١٣ سنة فقد كن يتصرفن بشىء من العصبية والخوف.

هذه الزيارة فتحت أمام «ساوات» الطريق إلى المغامرة فى عالم العهارة. وقد بدأ بشىء من البراءة ولكنه سرعان ما جذبه التيار مثل قطعة خشب صغيرة فى مجرى نهر جارف. لقد كانت قوة التيار

أعنف من طاقة احتماله.

وبعد قليل كان «ساوات» يبيع الأفيون للعملاء وللسياح فى الفنادق. ووصل به الانحطاط إلى حد المساهمة فى بيع وشراء الفتيات الصغيرات اللواتى لم يتعدين بعد سن الطفولة. لقد كانت مهنته مهنة قذرة وكان هو أحد الرجال البارزين فى هذه المهنة.

ولكن سرعان ما انقلبت الأحوال، فلقد تعرض مرة للسرقة، ولما حاول أن يشق طريقه من جديد إلى القمة تم القبض عليه. وسرت الأخبار فى عالم الرذيلة أنه كان جاسوساً. وأخيراً انتهى به المقام فى أحد الأكواخ بالقرب من مكان التخلص من قمامة المدينة.

وجلس «ساوات» فى كوخه الصغير وأخذ يفكر فى عائلته، خاصة أبيه، وهو رجل مؤمن بسيط من قرية صغيرة فى الجنوب بالقرب من الساحل الماليزى. وتذكر كلمات أبيه الوداعية: "إننى فى انتظارك". وتساءل هل يمكن أن يكون أبيه لا يزال فى انتظاره بعد كل الأفعال الدنيئة التى فعلها وجلب بها العار على اسم العائلة؟ هل يمكن أن يرحب به مرة أخرى فى المنزل؟ لقد وصلت سمعته إلى القرية الصغيرة وكان الجميع يعرفون بقصته.

وأخيراً اتخذ «ساوات» قراره، وبدأ ينفذ خطته. كتب لأبيه قائلا:

أبى الحبيب
إننى أريد أن أعود إلى المنزل ولكننى لا أعرف هل ستقبلنى مرة أخرى بعد كل الأشياء التى صنعتها. لقد ارتكبت شروراً عميقة، ياأبى. أرجوك أن تسامحنى. فى مساء السبت القادم سوف أكون فى القطار الذى يمر بقريتنا. فإذا كنت لا تزال فى انتظارى، أرجوك أن تربط قطعة من القماش على الشجرة الموجودة أمام المنزل.

إمضاء «ساوات»

وفى رحلة القطار هذه أخذ «ساوات» يراجع حياته خلال الشهور القليلة الماضية فأدرك أن أبيه له كل الحق فى أن يرفضه. ولما اقترب القطار أخيراً من القرية، استبد القلق به، فماذا سيفعل ياترى إذا لم يجد قطعة القماش البيضاء فوق الشجرة؟

وكان جالساً على المقعد المقابل مسافر طيب، وقد لاحظ شدة التوتر البادية على وجه رفيقه. وأخيراً لم يقدر «ساوات» أن يحتمل أكثر من ذلك فأخذ يحكى لذلك الرفيق عن قصته الكاملة. وعند

دخول القطار إلى القرية. قال له «ساوات»: «إننى لا أجرؤ على النظر. أرجوك أن تنظر بدلا منى. آه، ماذا سأفعل لو لم يقبلنى أبى؟»

وأخفى «ساوات» وجهه بين كفيه، وهو يقول لرفيقه: «هل وجدت البيت؟ هل ترى الشجرة الموجودة أمامه؟». وإذا بالرفيق يهتف فجأة قائلا: «يا صديقى، إن أباك لم يعلق قطعة واحدة من القماش، انظر لقد غطى الشجرة كلها بالقماش». ونظر «ساوات» وهو لا يصدق عينيه، كانت الشجرة محملة بمئات القطع من القماش الأبيض. وفى الفناء كان الأب يقفز بفرح ملوحاً بقطعة كبيرة من القماش الأبيض، وأخذ يجرى بمحاذاة القطار إلى أن توقف فى المحطة فقفز على عنق ابنه وأحاطه بذراعيه وأخذ يقبله بينما دموع الفرح تسيل على وجنتيه، وهو يقول لابنه: «لقد كنت فى انتظارك».

إن قصة «ساوات» تشبه جداً مثل الابن الضال الذى حكاه يسوع فى لوقا ١٥: ١١-٢٤. لقد حكى يسوع قصة ابن آخر أتلف حياته وماله فى دوامة من الاختيارات الخاطئة، ثم عاد إلى منزله خائفاً وطالباً عفو أبيه. هذا أيضاً وجد الأذرع المفتوحة ووجد الحب والقبول المجانى. وفى كلتا القصتين نجد ثلاثة

جوانب واضحة لقلب الله الأبوى:

١- حرية الاختيار

٢- صبر الانتظار

٣- القبول الكامل

١ - حرية الاختيار:

لقد أحب الأب ابنه إلى الدرجة أنه سمح له بأن يترك البيت.

فى كلتا القصتين مهد الأب الطريق لتكوين علاقة قوية مع ابنه من خلال منحه مطلق الحرية فى اختيار طريقه. ومع أن الأب كان يتألم فى داخله، إلا أنه لم يحاول أن يصنع العلاقة بالقوة، ولكنه فقط كان مستعداً أن يقدم المساعدة فى الوقت المناسب. وهذه الحرية لم يكن منشأها التوافق بين الابن وأبيه بل فقط المحبة. فقد كان من حكمة الأب أنه انتظر إلى أن يطلب الابن بنفسه هذه العلاقة. وقد قضى الأب سنوات عديدة يعلم فيها ابنه الطريق التى ينبغى أن يسلك فيها، ولكنه ترك له مطلق الحرية فى اتخاذ القرار النهائى.

إن تصرفات هذا الأب مع ابنه العاصى تصور لنا قلب الله. فلقد اختار فى حكمته أن يعطى للإنسان

حرية اتخاذ القرار، واضعاً فى حسبانه احتمال الرفض. فإن الله لم يكن يريد أن يصنع مع الإنسان علاقة طاعة لاإرادية لمجموعة من القوانين، ولكنه كان يريد إنشاء علاقة شخصية إرادية مع خليقته. هناك دائماً مخاطرة فى اعطاء الناس حرية الاختيار، ولكن بدون هذه المخاطرة لا يمكن أن يكون هناك حب حقيقى.

ونحن أيضاً يجب علينا أن نعطى للناس نفس الحرية التى يعطيها الله لنا. أما إذا حاولنا أن نجبرهم على الخضوع أو الإيمان أو الطاعة من خلال الضغوط أو التهديدات أو القوانين فإننا بذلك نهدم المسيحية من أساسها. فعندما نبتعد عن الحرية، نتحول إلى التدين الحرفى وننكر نعمة الله.

٢ - صبر الانتظار:

لقد أحب الأب ابنه إلى الدرجة أنه كان ينتظر يومياً رجوعه إلى البيت.

كان أحد رجال الأعمال يأتى بانتظام ليستمع إلى مبشر مشهور يقدم البشارة فى إحدى المدن لعدة أيام متتالية. وقد كان مقتنعاً تماماً أنه ليس من الضرورى أن يعلن جهاراً عن قبوله ليسوع المسيح، فإنه بامكانه

أن يصلى فى مكانه كما هو. فظل هكذا يأتى كل يوم ويجلس فى نفس المكان.

وفى كل ليلة كان أحد الشباب يقترب من هذا الضيف ويقول له فى أدب: «هل تريد أن تتقدم إلى الأمام وتعلن عن رغبتك فى اتباع يسوع المسيح؟» وفى كل مرة كان الرجل يجيب بنفس الإجابة: «كلا، فإننى أستطيع أن أصلى فى مكانى، فليس من الضرورى أن أتقدم إلى الأمام وأصلى لكى أصبح مؤمناً». ويجيبه الشاب: «أنا متأسف، ولكنك على خطأ، فأنت لا تستطيع أن تصلى هنا. يجب أن تذهب إلى الأمام إذا كنت تريد أن تسلم حياتك ليسوع». وتكرر هذا الحديث بالنص عدة ليالى متتالية، ولكن الرجل كان مصمماً على فكرته.

وجاءت الليلة الأخيرة. وجلس الرجل فى نفس المكان. وقدم المبشر بشارته، وللمرة الأخيرة دعا الناس ليتقدموا للأمام معلنين عن رغبتهم فى تسليم حياتهم ليسوع المسيح. وللمرة الأخيرة قال الشاب للرجل: «لو أردت أن تذهب إلى الأمام وتسلم حياتك للمسيح، فإننى مستعد أن أذهب معك ياسيدى».

فى هذه المرة، رفع الضيف عينيه المملوءتين بالدموع، وقال: «أرجوك، أن تأتى معى. فإننى أريد

أن أسلم حياتى للمسيح. أريد أن أتقدم للأمام لأصلى».
وهنا أجابه الشاب قائلا: «أنت لا تحتاج أن تتقدم إلى الأمام لتسلم حياتك للمسيح. فإنك تستطيع أن تصلى فى مكانك كما أنت»

عندما تواضع هذا الرجل المرموق، وتنازل عن كبريائه، استطاع الله أن يصل إليه حيث هو. وفى كلتا القصتين كان ينبغى للابن أن يصل إلى نفس النقطة. فعندما اعترف أخيراً بذنبه، حدث التغيير فى حياته. كان الأب يتوق إلى اللحظة التى فيها يصل ابنه إلى هذا الشعور بالندم على الخطية، ولكن قرار الرجوع كان ينبغى أن يتم من جانب الابن. كان الأب ينتظر يومياً رجوع ابنه، وكان يفعل ذلك بصبر وتحنن عظيمين.

ولم يكن الابن يستطيع أن يلوم أبيه على ما حدث له. فإنه وصل إلى هذه الحالة من الفقر بسبب حماقته الشخصية. وعندما أدرك خطأه، تاب وقرر الرجوع إلى البيت. وهنا التقت النعمة والتوبة معاً. فلأن الابن كان عالماً بمحبة أبيه، قرر الرجوع إلى المنزل. فمعرفته بهذه المحبة هى التى قادته إلى التوبة.

إن أبينا السماوى يتوق إلى لحظة رجوعنا إلى البيت، مهما كانت مشاكلنا ومهما كانت احتياجاتنا. يقول فى إشعياء ٣٠:١٨ «ينتظر الرب ليتراءف عليكم»، وفى رومية ٢:٤ يقول «أما تعلم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟». إنه أب منتظر.

٣ - القبول الكامل:

لقد أحب الأب ابنه إلى الدرجة أنه عندما عاد إلى المنزل لم يوبخه على أعماله الرديئة، بل سامحه واحتفل برجوعه احتفالا عظيماً.

فى مثل الابن الضال، لم يكتف الأب بالانتظار، ولكنه ركض. وعندما رأى ابنه قادماً منهكاً ومتردداً فى ملابسه القذرة وخطواته المتعثرة، أسرع إليه وقبله. لم يكن هناك أى إحجام فى قلبه تجاه ذلك الابن الذى أخطأ. فلقد كانت فرحته تعبر عن غفرانه وقبوله الكامل له.

لا تظن أن الله لا يبالى بتمردنا وأنانيتنا، فإنه يحزن جداً عندما يرانا نسىء إلى أنفسنا وإلى الآخرين. ولكنه ينتظر بكل صبر إلى أن نتجاوب مع محبته ونقبل غفرانه. وبمجرد أن نفعل ذلك، فإنه يسرع إلى لقائنا ويقبلنا قبولا كاملا ومجانياً.

عندما نفكر فى الله كالأب الذى ينتظر ابنه، ينبغى أن نتحفظ لئلا يتطرق إلى أذهاننا أن قلبه المحب الغفور معناه أنه ضعيف. كلا، إنه إله قدير وعالى فوق الجميع. ففى محبته توجد قوة عظيمة. إن بغضته الشديدة للشر لا تحتمل أى تردد، ولكن رحمته لا نهائية بالنسبة للذين يدركون احتياجهم إليه. إنه يرى قلوبنا، ويرى أفكارنا الداخلية. وهو يقدم كل الأمان للذين يرغبون بصدق أن ينضموا إلى عائلته.

والكتاب المقدس يقدم لنا صفات الله أبينا بطرق متنوعة. فهو يقدمه بصفته:

(١) الخالق: الذى يخلقنا على صورته ويعطينا مطلق الحرية لكى نختار بإرادتنا أن نتجاوب مع حبه.

«به نحيا ونتحرك ونوجد ... لأننا أيضاً ذريته» (أعمال ١٧: ٢٨).

«يارب أنت أبونا، نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك» (إشعياء ٦٤: ٨).

(٢) المسدد لاحتياجاتنا: فهو يسر بأن يسدد جميع احتياجاتنا المادية والعاطفية والذهنية والروحية.

«فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات

يهب خيرات للذين يسألونه» (متى ٧:١١)

(٣) الصديق الذي يقدم لنا المشورة: فهو يتوق أن تكون لنا علاقة وثيقة معه وأن يقدم لنا المشورة والارشاد الصالح.

«أليف صباى أنت» (إرميا ٣:٤).

«ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام» (إشعياء ٩:٦).

«برأيك تهدينى» (مزمور ٧٣:٢٤).

(٤) الأب الذى يؤدب بنيه ويصلحهم بالمحبة:

«يابنى لا تحتقر تأديب الرب ... لأن الذى يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله ... إن كنتم بلا تأديب ... فأنتم نغول لا بنون ... ولكن كل تأديب فى الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن، وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (عب ١٢:٥،٦،٨،١١).

(٥) الفادي: الذى يسامح أولاده عن أخطائهم ويخرج الخير من أخطائهم وضعفاتهم.

«الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة .... كبعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا. كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه» (مزمور ١٠٣:٨،١٢،١٣).

(٦) المعزى: الذى يهتم بنا ويعزينا فى وقت الاحتياج.
«مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية الذى يعزينا فى كل ضيقتنا» (٢كورنثوس ١:٣،٤).

(٧) المنقذ: الذى يسر بأن يدافع عن أولاده ويحميهم وينقذهم.
«الساكن فى ستر العلى فى ظل القدير يبيت. أقول للرب ملجأى وحصنى إلهى فأتكل عليه . لأنه ينجيك ...» (مزمور ٩١:١-٣).

(٨) الأب: فهو يريد أن يحررنا من كل الآلهة الكاذبة لكى يكون أباً لنا.
«وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شىء» (٢كورنثوس ٦:١٨).

(٩) أب لمن لا أب له: يهتم بالأرامل وبالمشردين.
«أبو اليتامى وقاضى الأرامل الله فى مسكن قدسه. الله مسكن المتوحدين فى بيت» (مزمور ٦٨:٥،٦).

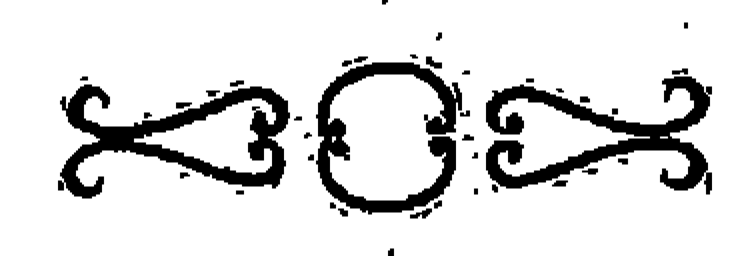
(١٠) أب محب: يظهر نفسه لنا ويصالحنا لنفسه فى يسوع المسيح.
«الآب نفسه يحبكم لأنكم أحببتمونى وآمنتم أنى من

عند الله خرجت» (يوحنا ١٦: ٢٧).

على الرغم من كل التعاليم التى يقدمها لنا الكتاب المقدس عن محبة الله وعدله، إلا أننى مررت بمرحلة فى حياتى فيها كنت أهاب الله ولكن لا أحبه. وكنت أخاف منه بسبب قدرته العظيمة، ولكننى لم أكن أحبه من أجل صلاحه.

ولكن عندما تخليت عن أفكارى من جهة الله، وتخليت عن الرغبة فى الجدال والمناقشة، وطلبت من الله أن يعلن لى ما هو رأيه فى أنانيتى، عندئذ بدأت أدخل فى علاقة وثيقة معه.

إن الله أب محب، لا يتعب من انتظارنا. وعندما نقضى وقتاً معه، فإننا نكتشف المزيد عن صفاته ونختبر أعماقاً جديدة فى العلاقة معه.




صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة
لوقا ٢٢: ٤٠


الفصل الثامن
آباء في الرب



إن العالم ممتلىء بالأشخاص اليتامى روحياً وعاطفياً.

ولد على أغا فى قرية جبلية نائية فى تركيا. وبمجرد أن بلغ من العمر عشر سنوات مات أباه، وقد سار فى الجنازة مبتسماً، لأنه كان يبغض أبيه بغضة شديدة. فلقد حفرت فى ذاكرته بصفة مستديمة مواقف العنف التى قام بها أبوه على مرأى منه.

وبعد وفاة أبيه بفترة قصيرة، كتب على أغا «قائمة بغضة» تضم جميع الأشخاص والأشياء التى أصبحت محور عداوته. وهو لم يستثن اسم أبيه من هذه القائمة إلا إرضاء واحتراماً لأمه فقط.

ونشأ على أغا وهو يعانى من نوبات اكتئاب تصحبها فترات طويلة من الصمت والانعزال مع أعراض فقدان الشهية العصبى. لقد كان يشعر بالذنب بسبب عداوته لأبيه، وانتهى به الأمر إلى الاعتقاد بأن البغضة هى المنفذ الوحيد للتنفيس عن هذه المشاعر.

فلقد ترك يتيماً لا يعرف معنى الحب.

وفى سن المراهقة، سلك طريق الجريمة والعنف وكان مروجاً للمخدرات. وانضم إلى مدرسة للإرهابيين فى لبنان فيها يتعلم الناس أحدث وسائل الإرهاب.

وفى ١٢ مارس ١٩٨١ انتهت فجأة رحلة محمد على أغا مع الإرهاب، فلقد كانت جميع وكالات الأنباء تحاول أن تنطق اسم هذا الفتى التركى غير المعروف، لتنقل خبر محاولته قتل البابا يوحنا بولس الثانى.

والآن يجلس على أغا فى زنزانة جرداء فى سجن فى روما. وإلى هذه الزنزانة قام البابا يوحنا بولس بزيارة الغفران الشهيرة فى أواخر ديسمبر ١٩٨٣. فلقد جلس لمدة ٢١ دقيقة ممسكاً باليد التى أمسكت بالبندقية. وقد كانت هذه الزيارة مثالا رائعاً للمحبة المسيحية، وسواء كنت بروتستانتياً أو كاثوليكياً فلا يمكن لأحد أن ينكر قيمة هذا العمل الذى قام به البابا يوحنا بولس. فلقد فتش عن عدوه وقدم له الغفران. وبهذه الطريقة قدم البابا لعلى أغا مفهوماً جديداً عن الله وأرشده إلى طريق الخروج من ظلمة ومرارة النفس. خلال هذه الدقائق القليلة التى يقول عنها البابا يوحنا بولس أنه كان يتكلم فيها

معه «كأخ»، عرف على أغا أنه توجد طريق للآب.

يوجد احتياج إلى آباء وأمهات فى الرب

إن أناس كثيرين وجدوا أنفسهم أيتاماً ليس فقط من آبائهم الأرضيين بل من كل أنواع العطاء الروحى والنفسى. ولقد تكلمت فى بداية هذا الكتاب عن الأشخاص الذين ينبذهم ويلفظهم المجتمع والذين يعانون أشد الألم بسبب الشعور بالرفض والوحدة فى هذا العالم، وتكلمت عن حاجة هؤلاء إلى الشفاء.

والكنيسة أيضاً ممتلئة بالأشخاص الأيتام روحياً. وهؤلاء إما أنهم قبلوا يسوع المسيح ولكنهم لم ينموا فى الإيمان، وإما أنهم لم يتحدوا بعد بالعائلة الروحية بسبب فشل ما من جانبهم أو من جانب آخرين . إنهم يحتاجون إلى عائلة ينتمون إليها، وإلى بيت يضمهم.

هؤلاء الناس هم فى مسيس الحاجة إلى راعى يعتنى بهم. إنهم يحتاجون إلى شخص ناضج فى الإيمان يعلمهم من كلمة الله، ويرشدهم بالمبادىء الكتابية الصحيحة، ويقدم لهم النصح والتشجيع. إنهم يحتاجون إلى آباء أو أمهات روحيين يساعدونهم على النمو فى الرب.

ويوجد أناس آخرون يحتاجون إلى «أب بديل» أو «أم بديلة» أى إلى شخص يعطيهم نفس نوعية القدوة السليمة التى لا يقدر أن يعطيها سوى أب أو أم على مستوى النضج والحكمة. فإذا كان الشخص فى سنوات النمو الأولى قد افتقد الأبوة السليمة، سواء على المستوى الزمنى أو الروحى أو كليهما، فإنه سيحتاج إلى من يقوم بهذا الدور. وهذه العلاقة لا ينبغى أن تتحول إلى نوع من التعلق المريض والشكوى المستمرة، بل تكون فى شكل قدوة تساعد على النمو.

أمثلة كتابية

كانت طلبة بطرس إلى الشيوخ هى: «ارعوا رعية الله التى بينكم نظاراً» (١بطرس ٥:٢). وكذلك بولس فى رسالته إلى مؤمنى كورنثوس يقول: «لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح لكن ليس آباء كثيرون ... لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذى هو ابنى الحبيب والأمين فى الرب الذى يذكركم بطرقى فى المسيح كما أعلم فى كل مكان فى كل كنيسة» (١كورنثوس ٤:١٥، ١٧). ويذكر بولس التسالونيكيين قائلاً: «كنا مترفقين فى وسطكم كما تربى المرضعة أولادها ... كما تعلمون

كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده ونشجعكم ونشهدكم لكى تسلكوا كما يحق لله الذى دعاكم إلى ملكوته ومجده» (١تسالونيكى ٢:٧،١١،١٢).

إن عمل الآباء والأمهات فى الرب لا يقتصر على الرعاة والقادة الروحيين وحدهم. فإن هناك احتياج ماس أن المؤمنين الناضجين روحياً يعملون كآباء وأمهات للمؤمنين الآخرين. ويخاطب يوحنا الآباء فى الرب قائلا لهم: «لأنكم قد عرفتم الذى من البدء» (١يوحنا ٢:١٤). فالمؤمنين الأحداث يحبون أن يحاربوا الشيطان، أما الآباء فإنهم يعرفون الآب. لذلك فإن مجرد وجودهم فيه معونة لمن حولهم بسبب نضوجهم وتعمقهم فى الرب. إننا نحتاج فى الكنيسة إلى مجهودات هؤلاء الآباء والأمهات، فإنهم بتواجدهم وببيوتهم المفتوحة للناس وبتضحيتهم بأوقاتهم يمكن أن تكون حياتهم أدوات عظيمة لتوصيل الحب والشفاء.

الحاجة إلى التوازن

إن مجال الأبوة الروحية معرض، مثل أى مجال آخر، إلى الوقوع فى التطرف. لذلك يجب أن نعرف أن الناس لا يحتاجون إلى من يتسلط عليهم بطريقة

استغلالية. فالكتاب المقدس يتكلم عن: المساواة، والسلطة، والخدمة، ومن المهم جداً أن نميز بين هذه المفاهيم الثلاثة. فإنه بسبب الخلط بين هذه الأمور حدث كثير من التشويش فى وسط الكنيسة.

إن الآباء الناضجين هم الأشخاص الذين لديهم الاستعداد أن يتعاملوا مع الآخرين ويخدموهم كإخوة مساويين لهم. فهم يعملون من منطلق الإخوة وليس من منطلق التسلط. واهتمامهم الأكبر هو أن يخدموا لا أن يسودوا. أما إذا تحرك أحد بدافع التسلط فإن هذه العلاقة قد تتحول إلى سيطرة وتؤدى إلى نتائج ضارة وخانقة.

ويمكننا من الجدول التالى أن نعرف ما هى الفروق الجوهرية بين الأسلوبين:

الآباء المسيطرين:

١- يتصرفون كما لو كانوا هم مصدر القيادة والإرشاد لحياة الآخرين.

٢- يؤكدون على حقوق القادة

٣- يضعون القادة فى مرتبة متميزة ويمنحونهم امتيازات خاصة.

٤- يحاولون التسلط على تصرفات الناس

٥- يؤكدون على ضرورة لجوء الناس للقائد لحل

مشاكلهم.
٦- يستخدمون القواعد والقوانين للتحكم فى الناس ولاجبارهم على التشكل بطريقة معينة.
٧- يواجهون الشر على مستوى التصرف الخارجى وفى إطار الانسجام مع المجموعة.
٨- يؤكدون باستمرار على المكانة المنفردة «لمجموعتنا» وعلى الاعلانات الخاصة التى أعطاها الله لمجموعتهم وليس لأى شخص آخر.
٩- يحكمون على تصرفات الآخرين بناء على توافقها مع وجهة نظر القائد. ولا يشجعون تعدد الآراء والأفكار.

الآباء الناضجين فى الرب:

١- يؤمنون أن الله هو مصدر القيادة ويحاولون مساعدة المؤمنين الآخرين على تمييز صوته.
٢- يؤكدون على مسئوليات القائد.
٣- يؤكدون على الخدمة المتبادلة بين أعضاء جسد المسيح، مع النظر إلى يسوع كالمحور.
٤- يشجعون الناس على الاستناد على الله.
٥- يؤكدون على ضرورة مساعدة المؤمنين الآخرين للقيام بالخدمة.
٦- يصنعون جواً من الثقة والنعمة يشجع على النمو

الروحى.

٧- يواجهون الشر على مستوى القلب وبناء على الانكسار أمام الله.

٨- يؤكدون على أهمية الاتحاد بين جميع أعضاء جسد المسيح وأهمية الاحتفاظ بروح التواضع تجاه الآخرين.

٩- يدركون أهمية الإتجاه الداخلى فى العلاقة مع الله وليس مجرد الموافقة على التعليم.

إن السلطان لا يؤخذ وإنما يمنح. وهو لا يكمن فى وظيفة أو مكانة معينة نشغلها، ولا ينبع من الألقاب التى نحملها بل من الصفات التى تسكن فى داخلنا. إنه يأتى من مسحة روح الله ويتكون من الناتج الإجمالى لطباع الإنسان وحكمته وموهبته الروحية وتحليه بروح الخادم.

إن الآباء الروحيين الذين بحسب قلب الرب يعرفون هذه المبادىء. وهم يعرفون صفات الآب ولذلك فإنهم يقومون بخدمتهم للآخرين بدون توتر. وهذا لا يعنى أنهم غير حاسمين وغير قادرين على مواجهة الأشخاص عند اللزوم. كلا، بل هم قد تعلموا أن يتصرفوا كما يوجههم الرب وليس لمجرد أنهم «القادة».

تلقى المعونة من الآباء الروحيين

إن تلقى المعونة من أى إنسان يحتاج إلى تواضع. فعندما يضع الرب شخصاً ما فى حياتنا لكى يعلمنا يجب أن يكون موقفنا منه سليماً حتى نقدر أن نستفيد من كل ما يريد الرب أن يفعله فينا من خلال ذلك الشخص.

إن الله يتوق إلى أن يعزينا ويشجعنا من خلال الآخرين، ولكن إذا لم تكن لنا روح التعلم والقلب المفتوح لتلقى عطاياه، فإننا نعوق سريان محبته لنا. وإذا تخيلنا أننا لا نحتاج أن نأخذ من الآخرين فهذا ليس تواضعاً ولا نضجاً بل هو كبرياء. ومع ذلك فإنه يظل من مسئوليتنا أمام الله أن نميز الأشياء التى يقولها لنا الآخرون هل هى صحيحة أم لا. فلا ينبغى أن نتفق مع الآخرين فى آرائهم إلا إذا كنا مقتنعين بصحتها. والكتاب المقدس هو المقياس الذى به نتمكن من تقييم مشورة الآخرين.

هناك فرق بين الروح الخاضعة وبين الطاعة المطلقة. فالطاعة المطلقة مطلوبة تجاه الله فقط، أما الخضوع فمن الممكن تقديمه للإنسان. الخضوع يتضمن معنى الانفتاح نحو الآخرين لتلقى العون منهم. ولكن الله هو الشخص الوحيد الذى تليق به الطاعة الكاملة.

عندما سمع بعض جنود داود ملكهم يقول إنه يتوق إلى أن يشرب ماء من آبار بيت لحم، قرروا أن يأتوا له بها. ولكن الآبار كانت داخل معسكر الفلسطينيين، أى أعداء داود. ومعنى هذا أنهم قد شقوا طريقهم بين الأعداء وخاطروا بحياتهم ليأتوا لداود ببعض الماء الثمين.

وتخيل كيف كانت تعبيرات وجوههم وهم يترنحون عائدين من مهمتهم مجروحين ونازفين ولكن فى نفس الوقت ممتلئين بالفخر من أجل ما أنجزوه. ولكن لشدة دهشتهم، أخذ داود الماء الذى أحضروه وسكبه على الأرض، قائلا: «إن مثل هذا الاخلاص لا ينبغى أن يقدم سوى للرب فقط».

لقد أدرك داود أن رجاله المخلصين قد قدموا له ولاء لا يليق إلا بالرب، لذلك فإنه بحكمة أعاد توجيهه فى الاتجاه الصحيح. ومع أنهم ربما قد تألموا من الموقف، إلا أنهم بعد عدة سنوات كانوا هم أنفسهم يخبرون الآخرين عن الدرس الذى علمه لهم داود بخصوص إعطاء المكانة الأولى فى الحياة للرب وحده.

إن اتخاذ «آباء» أو «أمهات» فى الرب ليس معناه أن ندخل فى علاقة تقليدية محددة مع أحد المؤمنين الناضجين. فإن الأمر قد يكون مقتصراً على مراقبة حياتهم، وأحياناً أخرى قد يتضمن طلب مشورتهم أو سؤالهم فيما يحيرنا من أسئلة.

لقد قام يسوع بهذا الدور مع تلاميذه على أربعة مراحل:

أولا: كان هو يقوم بالعمل وهم يراقبونه

ثانياً: كان هو يقوم بالعمل وهم يساعدونه

ثالثاً: كانوا هم يقومون بالعمل وهو يساعدهم

رابعاً: كانوا هم يقومون بالعمل وهو مضى عنهم.

القيام بدور الأب مع الآخرين

إن نجاحنا فى أداء هذا الدور، سواء فى الكنيسة أو فى البيت، يعتمد على الجو الذى نخلقه أكثر مما يعتمد على الكلمات التى نقولها. فإن الناس سيتذكرون تصرفاتنا وردود أفعالنا والطريقة التى نتكلم بها، أكثر من موضوع المناقشة ذاتها. فإن فلسفتنا فى الحياة وفى الخدمة تخلق جواً معيناً فى أى مكان نذهب إليه، فإننا نأخذه معنا أينما ذهبنا.

فعلى سبيل المثال، هناك أشخاص نشعر معهم بأنهم يحبوننا ويهتمون بنا، وهم ينقلون لنا هذا الشعور بطرق بسيطة ولكنها واضحة، وهؤلاء سرعان ما نجد أنفسنا منفتحين وصرحاء معهم. فى حين أننا مع أشخاص آخرين لا نجرؤ أبداً أن نخبرهم بأى شيء شخصى مهما أكدوا لنا أنهم يكتمون السر ويمكن الوثوق بهم.

وبالطبع يجب أن نكون محددين أكثر ولا نكتفى بالقول بأننا ينبغى أن نخلق جواً لطيفاً. وإلا فإننا لن نحتاج سوى أن نجعل الأنوار خافتة، ونوقد بعض الشموع، ونضع بعض الموسيقى الجميلة، وهكذا يصبح الجو الروحى مناسباً. كلا، فإن الجو الروحى يشمل جميع مبادىء الحياة التى تظهر فى كلماتنا وفى أفعالنا. وهذا الجو لا نخلقه بالصدفة بل هو نتاج حياة بأكملها.

يحكى عن المبشر المشهور فى القرن التاسع عشر، تشارلس فنى، أن بعض أعدائه حاولوا إحراجه بأن طلبوا منه أن يتحدث فى اجتماع رعوى ضخم بدون أن يخبروه من قبل. وقام «فنى» ليتكلم بدون أن يكون قد أعد شيئاً، وعلى مدى ساعة ونصف قدم واحدة من أقوى عظاته. وبعد الاجتماع جاءه واحد

من طلبة اللاهوت وسأله: «كم من الوقت قضيت فى إعداد هذه الخدمة؟». أجابه «فنى»: «لقد كنت أعد هذه العظة طوال العشرين سنة الماضية!».

وفيما يلى بعض القواعد التى تساعد فى خلق جو من المحبة والثقة:

١- إننا نخلق جواً من النمو الروحى من خلال الحب والثقة التى نتقاسمها مع الآخرين.

٢- إننا نخلق جواً من الانتماء عندما نشرك الآخرين فى اتخاذ القرارات الهامة.

٣- إننا نخلق جواً من تحمل المسئولية عندما نثق فى الآخرين.

٤- إننا نخلق جواً من التعاطف عندما نتصرف بلطف وكياسة.

٥- إننا نخلق جواً من التقوى والواقعية الروحية بالتأمل المستمر فى كلمة الله وبممارسة العبادة الشخصية للرب.

٦- إننا نخلق جواً من الإيمان ووضوح الرؤية بأن نبصر احتياجات الآخرين ونميز إجابات الله على هذه الاحتياجات.

٧- إننا نخلق جواً من السخاء بأن نعطى للآخرين.

٨- إننا نخلق جواً من البر بأن نعترف بكمال قدرة الله فى كل المواقف.

٩- إننا نخلق جواً من التقدير للناس والإحساس بقيمتهم عندما نقضى وقتاً فى الإصغاء إليهم.

١٠- إننا نخلق جواً من الرضى عندما نشجع ونعضد الآخرين.

١١- إننا نخلق جواً من التعزية عندما نعتنى بالمتألمين.

١٢- إننا نخلق جواً من التعاون عندما تكون لدينا الرغبة الصادقة فى إشراك الآخرين فى الخدمة، ونصلى من أجلهم لكى تكون خدمتهم أعظم من خدمتنا نحن.

١٣- إننا نخلق جواً من الفرح والسلام عندما نعبر عن شكرنا للرب وعرفاننا بجميله فى جميع المواقف.

١٤- إننا نخلق جواً من الأمان عندما نتكلم عن مزايا الآخرين وعن طاقاتهم الكامنة.

١٥- إننا نخلق جواً من الطاعة لله عندما نحترم مقاييسه أكثر من مقاييس الناس.

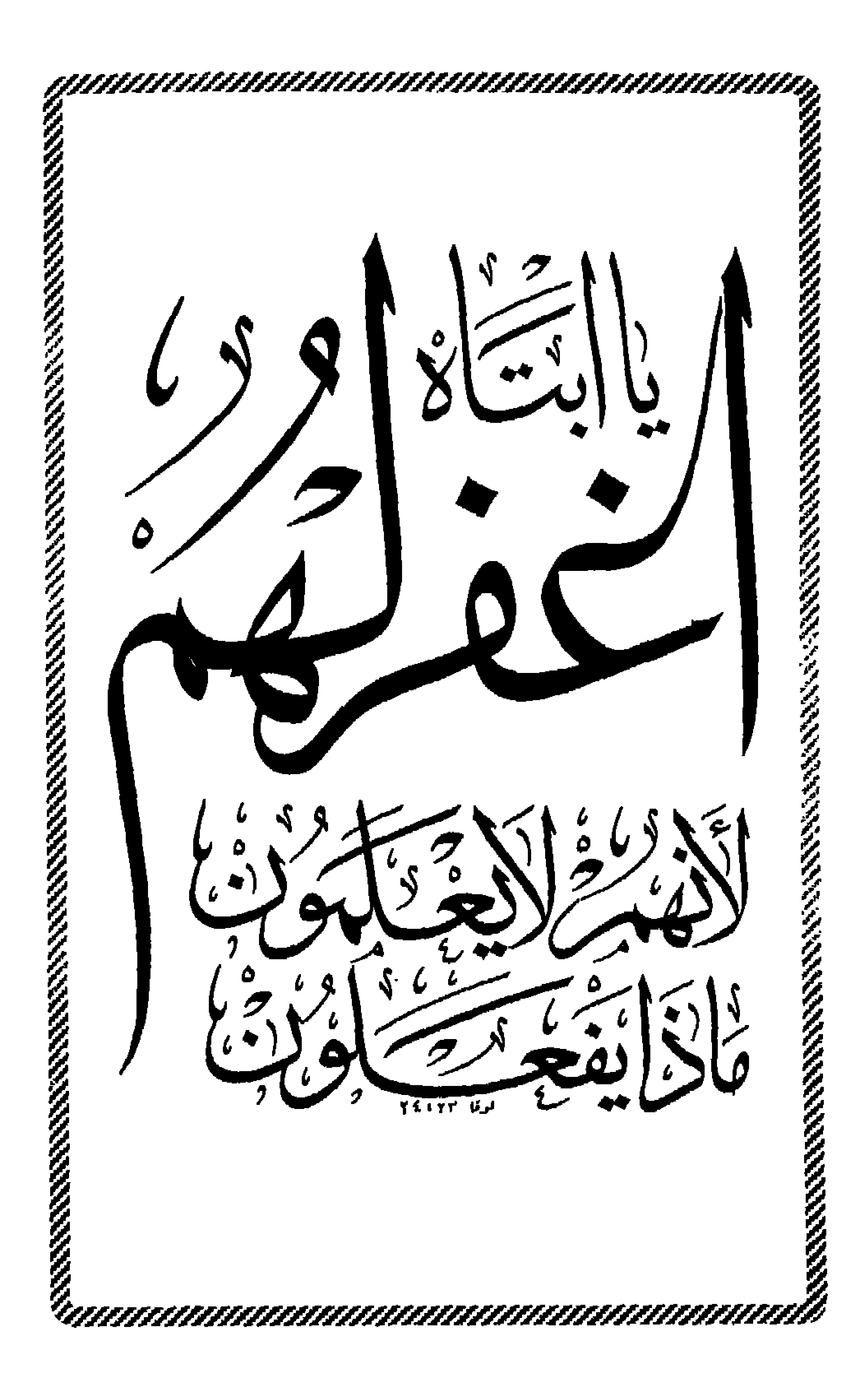
١٦- إننا نخلق جواً من الإخلاص عندما نمتنع تماماً عن انتقاد الآخرين.

١٧- إننا نخلق جواً من الإيمان عندما نخبر بعظائم الله.

١٨- إننا نخلق جواً من الصدق عندما نقر بضعفاتنا أمام الآخرين ونطلب مسامحتهم لنا على ما ارتكبناه من أخطاء.

إذا بدر منا كآباء أو كقادة روحيين أى إساءة لأبنائنا أو للأشخاص الذين تحت رعايتنا، يجب أن نهتم بأن نصلى من أجل إصلاح خطأنا. فإنهم يحتاجون أن يسمعوا منا أننا متأسفون، وفى نفس الوقت نحن نحتاج أن نسمع منهم أنهم قد سامحونا. فلا ينبغى أن نقول «ما حدث قد حدث»، لأننا عندما نتواضع بهذه الطريقة فإننا نفتح الباب للشفاء والمصالحة ونضمن علاقات أعمق وأقوى.

ليس هناك ما نقدر أن نعطيه للآخرين أثمن من الحب والتواضع، فإننا بذلك نكون معبرين بحياتنا عن الحق الذى أعلنه لنا الله فى الكتاب المقدس. إننا بذلك نخلق جواً من النعمة، ونشق طريقاً للحب بين قلوبنا وقلوب الآخرين. فعندما نضع أنفسنا فى يد الله ليستخدمنا كأوانى له سيصبح قلبه الأبوى واقعاً حقيقياً فى عالمنا المتألم.


يا أبتاه
اغفر لهم
لأنهم لا يعلمون
ماذا يفعلون

دراسة إرشادية

الفصل الأول
قلب الإنسان المتألم

اقرأ يوحنا ١ و ٢

١- اشرح مفهومك الشخصى عن الله كأب. ما هى صورته فى خيالك؟ حاول أن تكون صادقاً ومحدداً بقدر الإمكان.

٢- هل لك علاقة شخصية وثيقة به؟

٣- ما هى مشاعرك تجاه أبيك الأرضى؟

٤- هل لك علاقة شخصية وثيقة به؟

٥- هل تثق فى أبيك الأرضى؟ وإذا كان لا، فهل يمكنك أن تكتشف الأسباب وتحدد مواطن عدم الثقة؟ اكتبهم بالتحديد.

٦- هل تثق فى الله كأب لك؟ وإذا كان لا، فهل يمكنك أن تكتشف الأسباب وتحدد مواطن عدم الثقة؟ اكتبهم بالتحديد.

٧- اكتب قدر ما تستطيع من الأجزاء الكتابية التى يصف فيها يسوع قلب الآب.

٨- اقرأ يوحنا ١٤:٨-١١. ما الذى تشعر أن يسوع يريد أن يقوله لك؟

٩- الجراح العاطفية التى لم تبرأ = روح مكسورة أو مجروحة = مرارة أو كراهية. هل حدث أن شعرت بالرفض أو بالنبذ من عائلتك أو من أصدقائك أو من زملائك فى العمل أو من أعضاء كنيستك؟ إذا كان نعم، اذكر التفاصيل.

١٠- هل تظن أنك لا زلت تعانى من الألم بسبب هذا الرفض أو النبذ الذى حدث فى الماضى؟ إذا كان نعم، فاذكر ما هو تأثيره عليك اليوم.

١١- العلاج الوحيد لهذه الحالة هو : .... فهل أنت مستعد أن تسير وراء محبة الله فى مسيرة الغفران، التى فيها العلاج لجراحك العاطفية؟

الفصل الثانى:
أب كامل

اقرأ يوحنا ٣ و ٤

١- اعط وصفاً لظروفك العائلية فى فترة طفولتك. هل كان الجو يسوده السلام، والفرح، والاستقرار، والاحساس بالأمان، أم الشجار والصراع والكآبة؟

٢- هل كنت تشعر أنك محبوباً ومقبولا؟ ومرغوباً فيه؟ وأن لك قيمة؟ وأنك متميز؟

٣- هل تعرف أن الله الآب خلق العائلات لكى يتمجد بالثمر الذى ينمو فى هذا الجو الذى تسوده المحبة والأمان؟ وهل تمجد هو فى عائلتك؟ اشرح بالتفصيل.

٤- اذكر الرجال الذين كانوا يعتبرون مثالا للسلطة خلال حياتك، وما هى مشاعرك تجاههم؟

٥- هل كنت تثق فى هؤلاء الرجال؟

٦- هل شعرت بأنك مهم فى نظر هؤلاء الرجال؟

٧- هل حصلت على قدر كافى من الحب الملموس من هؤلاء الأشخاص؟

٨- اذكر بعض المواقف الصعبة فى حياتك. وبجوار هذه المواقف اذكر اسم أحد الأشخاص المسئولين الذى أظهر لك حب وعطف أثناء ألمك.

٩- أين كان الله أثناء اللحظات المؤلمة التى مرت بك فى حياتك؟

١٠- اذكر أسماء الأشخاص الذين أحبوك بدون شرط وبدون مقابل.

١١- هل أنت مستعد أن تأخذ حب غير مشروط من خالق الحب: الله الآب؟

١٢- هل تشعر أنك أسيء إليك فى أحد الجوانب السبعة للحب الأبوى؟ إذا كنت غير متأكد، اسأل شخصاً قريباً منك. حاول أن تكون محدداً بقدر الإمكان فى تعريف وجه الإساءة.

١٣- هل أنت مستعد أن تسامح الشخص الذى أساء إليك؟ كن صادقاً مع نفسك.

الفصل الثالث:
عندما ينجرح قلبك

اقرأ يوحنا ٥ و ٦

١- كيف يمكن لأنانيتنا أن تفصلنا عن الله الآب؟ أثناء قراءتك للصفحات التى تتكلم عن «مرض شاول» قارن بجدية مع حياتك الخاصة وشخصيتك ومشاعرك. انظر هل يوجد أى تشابه بينك وبين شاول. أحياناً يكون من الحكمة أن تستشير زوجتك أو أحد أصدقاءك المقربين بهذا الشأن لأنهم أحياناً يبصرون فى حياتنا أموراً لا نراها نحن ... خاصة فى الإجابة على السؤال ١٢.

٢- هل تعتقد أن الله الآب أرسل يسوع المسيح إلى

العالم لكى يقدم خدمة المصالحة، ولكى ينهى تماماً انفصال الإنسان (وهذا يشملك أنت) عن الله الآب؟ (٢كو ٥:١٦-٢١).

٣- هل تعتقد أنه بواسطة يسوع المسيح، يمكن للجروح أن تشفى، وأنه فى استطاعتك أن تعيش سليماً بدلا من حالة انكسار القلب؟ كيف يمكن أن يحدث ذلك؟

٤- اذكر بعض جوانب حياتك التى تشعر فيها بعدم الأمان.

٥- هل لديك قلب خدوم؟ ما هى مظاهر ذلك؟

٦- هل أنت مستعد أن تتواضع وأن تأخذ الطريق المنخفض؟ متى؟

٧- هل تشعر بالغضب المتكرر أو الذى لا يمكنك أن تتحكم فيه؟ متى؟

٨- هل تنتابك نوبات من الاكتئاب أو الانقباض؟ ما هى العوامل التى تؤدى إلى حدوثها؟

٩- هل أنت متأثر داخلياً بسلطتك؟

١٠- هل إحساسك بالقيمة والتقدير يعتمد على مدح الآخرين لك؟ ماذا يحدث إذا لم تنل هذا المديح؟

١١- هل عندك رغبة فى إرضاء الناس أكثر من رغبتك فى إرضاء الله؟ فى أى جوانب حياتك يحدث هذا؟

١٢- ادرس صفات شخصية شاول: الشعور بالنقص، العناد والاستقلال عن الله، الكبرياء، محاولة إرضاء الناس، العصيان. هل توجد فى حياتك أى من هذه الصفات؟

١٣- اذكر أعراض «مرض شاول» التى تراها فى نفسك. ومن الأفضل أيضاً أن تسأل إنساناً قريباً منك عن رأيه.

الانعزال والوحدة، حب التملك، التفكير بأسلوب «نحن» بالمقابلة مع «هم»، حب السيطرة، رفض التعلم، الإدانة والانتقاد، فقدان الصبر، انعدام الثقة، عدم الاخلاص، نكران الجميل، المثالية غير السوية.

١٤- ما هو الفرق بين «النفوذ» و «السلطة»؟

١٥- ماذا يعنى «خوف الله» بالنسبة لك؟

١٦- ما هو تعريف التواضع فى نظر الكاتب؟

١٧- ما هى فوائد السير فى خوف إرضاء الله أكثر من إرضاء الناس؟

الفصل الرابع:
الشفاء من أب محب

اقرأ يوحنا ٧-٨-٩

من المهم أن تجد مكاناً خاصاً ووقتاً مناسباً لهذا الدرس.

قبل أن تبدأ هذا الجزء راجع الدروس الثلاثة السابقة. وأى سؤال لم تجب عنه إجابة كاملة، أجب عنه الآن. وأثناء قراءة الأسئلة للمرة الثانية ربما سيعطيك الله مفاهيم أوضح.

والآن من المهم أن تسأل نفسك: «هل أنا مستعد أن أتحمل مسئوليتى عن الأفعال أو ردود الأفعال التى يكشفها الآب لى وأن أطلب غفرانه من أجل أنانيتى وتمردى عليه؟»

وليس المقصود من هذا هو الاستهانة بالآلام التى صادفتها فى حياتك، بل توضيح أن ردود أفعالنا التى نتخذها غالباً لحماية أنفسنا، كثيراً ما تكون بعيدة فى محورها عن المسيح. فى هذه الحالات، يجب أن نقر بخطيتنا ونطلب من الآب الغفران.

من الأفضل أن تكون محدداً بقدر الإمكان وأنت تتذكر هذه المواقف وأن تعترف بردود أفعالك تفصيلياً أمام الله الآب المحب.

ارشادات لشفاء العواطف:

- اعترف بأنك محتاج إلى الشفاء وإلى المساعدة.
- كن صادقاً مع الآب، لكى يقدر أن يرشدك وأن يشفى مشاعرك.
- اعترف بخطاياك، كل واحدة على المستوى الذى تم ارتكابها فيه:

الخطايا السرية وهى خطايا القلب أو الذهن التى لم تخرج أبداً إلى حيز التنفيذ أو المشاركة، هذه يجب الاعتراف بها فقط للآب. والخطايا الشخصية اطلب الغفران عنها من الشخص الذى أخطأت إليه. وفى الخطايا العلنية اطلب غفران الجماعة.

- اعترف بالعواطف السلبية: مثل مشاعر الغضب والخوف والمرارة والإحباط والحقد. وحتى إذا كنت لا تعبر عن مشاعرك فهذه أيضاً يمكن أن تكون ضارة مثل المشاعر السلبية. دائماً تحدث مع يسوع أولا، ثم مع الآخرين إذا لزم الأمر.
- سامح الأشخاص الذين أساءوا إليك. وهذه العملية تتم غالباً على مراحل وليس دفعة واحدة.
- اقبل الغفران. اطلب وخذ غفران الآب عن أفعالك أو تصرفاتك الخاطئة تجاه الآخرين.
- اقبل حب الآب، امض وقتاً فى محضره.

- فكر بأفكار الله، وليس بالأفكار السلبية الدفاعية الأنانية. اكسر الأنماط القديمة لتفكيرك تجاه نفسك. عندما تبدأ تفكر فى فكرة سلبية، توقف واذكر فكر الله من جهة هذا الأمر وعضده بآية كتابية مناسبة.
- اصبر: فإن الاستسلام يعرضنا مرة أخرى للمشاعر السلبية. اقرأ واحفظ عن ظهر قلب فيلبى ١:٦.

قد يكون من المفيد لك أن تكتب قائمة بالأشياء المحددة التى تطلب من أجلها غفران الآب. وربما ستكتشف عندئذ نمط معين فى حياتك يمكن للآب أن يغيره فيك إذا اعترفت به وتبت عنه. وليس من الضرورى أن تحتفظ بهذه القائمة لأنها قد تسبب لك بعض الحرج لو قرأها أى شخص آخر، ولكنها قد تكون نافعة لك إلى حين.

تذكر : أن الشفاء العاطفى يستغرق وقتاً، فهو لا يحدث دفعة واحدة.

من المهم جداً ألا تلتفت إلى الأشخاص وألا تركز عليهم كمصدر للشفاء. فإن أبيك السماوى هو الشخص الوحيد الذى يقدر أن يشفيك تماماً. فالإحباط ينشأ من رغبتنا فى الحصول على الشفاء من الناس، فى حين أن الناس ليس باستطاعتهم أن يفعلوا ما لا يستطيع سوى الله وحده أن يفعل.

الفصل الخامس:
روح الإحباط

اقرأ يوحنا ١٠-١١-١٢

١- إلى أي مدى يحدث معك الشعور بالإحباط؟ (اعط لنفسك درجة من ١ إلى عشرة: ١ إذا كنت لا تشعر به أبداً، ١٠ إذا كان هذا الشعور يلازمك دائماً)

٢- كيف تتعامل مع الإحباط؟ هل يثير فيك الإحباط مشاعر الغضب أو الخوف أو الارتباك أو الإحراج أو الألم أو اليأس أو فقدان الثقة؟ اكتب قائمة بجميع المشاعر التى تشعر بها فى وقت الإحباط.

٣- مصادر الإحباط يمكن أن تتحول إلى مصادر عظيمة للنمو الشخصى والفهم الروحى العميق. فهل أنت فى حالة تستطيع أن تطلب من الآب أن يشرح لك لماذا سمح بموقف الإحباط هذا وما هو الدرس الذى يريد أن يعلمه لك من هذا الموقف؟

٤- هل تشعر أن توقعاتك من الآخرين تفوق أحياناً الواقع، وأنك لهذا السبب تتعرض للإحباط؟ اكتب قائمة بالأشخاص الذين يسببون لك الإحباط، واشرح ما الذى يفعلونه معك.

٥- عندما نتعلم كيف نتعامل مع .... بعضنا

البعض، سنقدر أن نتغلب على التوقعات غير الواقعية التى كانت تسبب لنا الإحباط فى الماضى.

٦- ما هو الموقف الذى ينبغى أن نتخذه إزاء كل أى ظرف؟ اشرح ما هو تأثير هذا الموقف ولماذا يحدث هذا التأثير.

٧- إننا نحتاج، مثل داود، أن نتعلم .... لكى نقدر أن نحقق غرض الله من نحونا فى وسط الإحباط. كيف يمكنك أن تفعل ذلك على أكمل وجه؟

٨- ما هى العقبة الكبرى التى تعوقنا عن التعلم من المواقف الصعبة ومواقف الإحباط؟ اشرح السبب.

٩- يوجد فى هذا الفصل قائمة بخمسة عشر عرض من أعراض الكبرياء. ناقش هذه الأعراض مع الآب السماوى ومع أحد الأشخاص المقربين منك لترى هل يوجد أى منها فى حياتك. اكتب قائمة بالصفات التى تظهر فيك. اطلب من الآب أن يعطيك قلباً منفتحاً فى هذه الأثناء لكى تقدر أن تكتشف مواطن الضعف التى تحتاج إلى علاج.

١٠- اشرح كيف أننا إذا جعلنا توقعاتنا من الآخرين كبيرة فإن هذا سيجعلنا نركز على الناس وعلى أنفسنا بدلا من أن نركز على الرب، وهذا يؤدى فى

النهاية إلى تحطيم العلاقات.

١١- اقرأ عدة مرات الأسئلة الموجودة فى نهاية الفصل، حتى تصبح مألوفة لديك بحيث أنك فى أول مرة تتعرض للإحباط ستجد هذه الأسئلة حاضرة فى ذهنك وهكذا ستقدر أن تستفيد وأن تتعلم من الإحباط بدلا من أن تتألم من الشفقة على الذات (التى هى فى حقيقتها كبرياء).

الفصل السادس:
قلب الله المكسور

اقرأ يوحنا ١٢-١٤-١٥

١- اشرح كيف أن الله قصد فى بداية الخليقة أن الإنسان يعيش معه إلى الأبد.

٢- هل ترى كيف أن الخطية والأنانية جعلت الإنسان اليوم مختلفاً تماماً عن الحالة التى قصدها الله له عندما خلقه؟ اشرح بالتفصيل.

٣- بالإشارة إلى السؤال السابق، من الذى انكسر قلبه أكثر بسبب ما حدث: الله أم الإنسان. اشرح بالتفصيل.

٤- ما هو أساس الحزن الذى بحسب التقوى، وما

هى نتيجته؟

٥- ما هو مفهوم التوبة؟

٦- هل يمكن للمشاعر والدوافع الأنانية أن تقودنا إلى الحزن الذى بحسب قلب الله؟ لماذا أو لماذا لا؟

٧- لقد خلقنا الله لكى تكون لنا شركة معه، ومن خلال شركة الحب هذه ستصبح الطاعة نتيجة تلقائية. لذلك فإن طاعتنا لله الآب يجب أن تنبع من منطلق ......

٨- لو كان الأفراد غير المؤمنين فى عائلتك أو بين أصدقائك قد وصل إليهم المفهوم السليم عن الله، هل تظن أنهم كانوا سيصبحوا مؤمنين؟

٩- هل ترى أن المفاهيم المغلوطة عن الله قد جعلت الكثيرين يرفضونه ويرفضون محبته؟

١٠- ما الذى يمكنك أن تفعله لكى توضح الحق لغير المؤمنين من عائلتك ومن بين أصدقائك؟

١١- حدد بعض مظاهر الرياء والظلم التى تراها فى الكنيسة اليوم؟

١٢- هل يمكنك أن ترى فى حياتك أى نوع من الرياء؟ اسأل زوجتك أو أى شخص قريب منك عن

رأيهم. هل أنت مستعد أن تبدأ بعلاج مشكلة الرياء فى الكنيسة بمعالجتها فى حياتك أنت أولا؟

١٢- على الرغم من أن تصرفات الآخرين معك لم تكن عن حق وقد سببت لك الكثير من الألم، هل أنت مستعد أن تتحمل مسئولية مواقفك وردود أفعالك الخاطئة وتتعامل معها؟ اذكر كيف يمكن لهذا الموقف أن يؤثر على حياتك.

الفصل السابع:
أب فى الانتظار

اقرأ يوحنا ١٦-١٧-١٨

١- اقرأ لوقا ١٥: ١١-٢٤، وضع اسمك فى قصة مثل الابن الضال هذا. هل تجد أى أوجه شبه بينك وبين صفات هذا المثل؟ ما هى؟

٢- اشرح بلغتك الخاصة كيف أنه لا يمكن أن يكون هناك حب حقيقى صادق بدون حرية الإرداة.

٣- « ... لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة» (رومية ٢: ٤). هل تدرك كيف أنه بدون فهم هذه الحقيقة يكون من الصعب جداً عليك أن تعترف بذنبك وتتواضع بالتوبة؟ اشرح كيف تحقق ذلك فى حياتك.

٤- من المهم أن نعطى الناس المحيطين بنا، حتى الذين تحبهم جداً. حرية اختيار طريقهم حتى يتمكنوا فى النهاية من أن يصلوا إلى نقطة احتياجهم. اشرح هذه الحقيقة.

٥- هل أنت مستعد أن تنتظر بروح حب، الأشخاص الذين أساءوا إليك وجرحوا مشاعرك، ثم أن تردهم إليك مرة أخرى؟ اطلب من الله أن يعطيك اسم شخص معين يمكنك تطبيق ذلك معه لتبدأ تصلى له من الآن.

٦- من بين الصفات العشرة المذكورة عن الله فى هذا الفصل، اذكر أى من هذه الصفات تعرف أنها حقيقية، وأى منها ليست مؤكدة بعد لديك. ثم اطلب من الآب أن يحول هذه إلى حقيقة مؤكدة فى حياتك.

الفصل الثامن:
آباء فى الرب

اقرأ يوحنا ١٩-٢٠-٢١

١- اذكر ما هى الفروق بين الآباء المسيطرين والآباء الذين بحسب قلب الرب.

٢- الآباء الروحيين الأتقياء يجب أن يهتموا بـ .... أكثر من اهتمامهم بـ ....

٣- هل أنت مستعد أن تقوم بدور الأبوة التى بحسب قلب الرب مع أى شخص يرسلك الرب إليه.

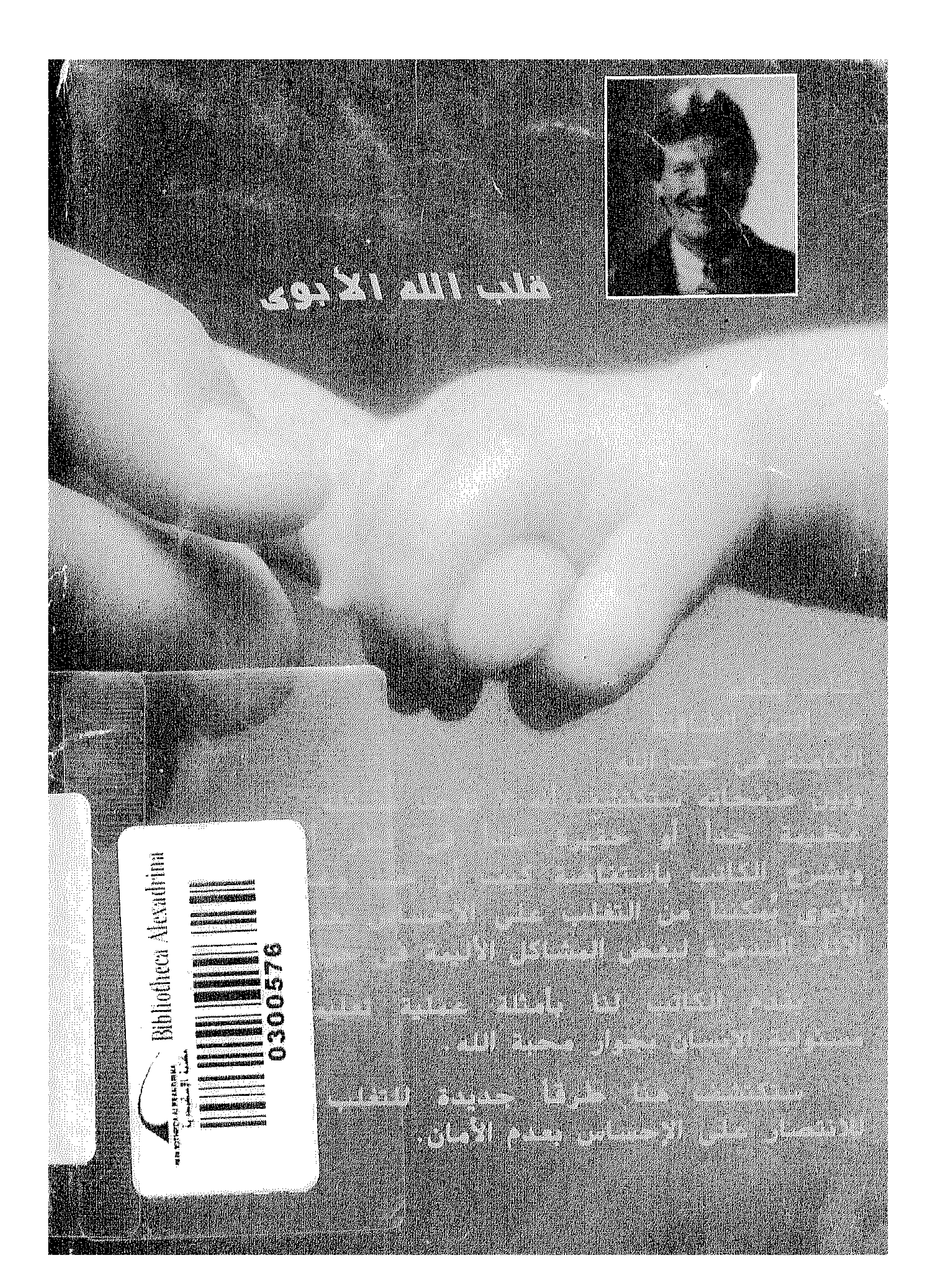
٤- لقد وضع الله الآب فى حياتنا، وسيظل دائماً يضع، أشخاصاً يعتنون بنا ويقومون معنا بدور الأبوة الروحية، فهل أنت مستعد أن تقبل ما يريد الرب أن يمنحه لك من خلال أحد الآباء الذين هم بحسب قلبه؟

٥- اشرح أهمية الخضوع الكامل للرب وحده وليس للناس.

٦- الـ .... هو المقياس الوحيد الذى يمكننا أن نستخدمه لتقييم أى مشورة يقدمها لنا الآخرين.

٧- ما هو المقصود بكلمة «الجو الروحى»، ومن أين ينشأ؟

الفهرس


قلب الله الأبوي
مسئولية الإنسان بجوار محبة الله.
ستكتشف هنا طرقاً جديدة للتغلب
للانتصار على الإحساس بعدم الأمان.
Bibliotheca Alexandrina
0300576